خصوم الحسين عليه السلام

تأليف

صالح الورداني

سرشناسه	:	وردانی، صالح Wardani, Salih
عنوان و نام پدیدآور	:	خصوم‌الحسین علیه‌السلام/ صالح وردانی.
مشخصات نشر	:	قم: انتشارات محلاتی، ۱۳۹۷.
مشخصات ظاهری	:	۲۰۴ص .
شابک	:	۹۷۸-۹۶۴-۷۴۵۵-۹۶-۱
وضعیت فهرست نویسی	:	فیپا
یادداشت	:	عربی.
موضوع	:	حسین‌بن علی (ع)، امام سوم، ۴ - ۶۱ق -- دشمنان
موضوع	:	Hosayn ibn Ali, Imam III, ۶۲۵- ۶۸۰-- Enemies
موضوع	:	واقعه کربلا، ۶۱ق -- فلسفه
موضوع	:	Karbala, Battle of, Karbala, Iraq, ۶۸۰-- Philosophy
رده بندی کنگره	:	BP۴۱/۷۶/۶خ۴ و۱۳۹۷
رده بندی دیویی	:	۲۹۷/۹۵۳
شماره کتابشناسی ملی	:	۵۳۴۸۰۹۸

الكتاب: خصوم الحسين عليه السلام

المؤلف: صالح الوردانی

الناشر: محلاتي

الاخراج الفني: كومبيوتر المجتبى عليه السلام ـ ۳۷۸۳۰۱۶۲

المطبعة: فردوس / **الكمية: ۲۰۰۰ نسخة**

الطبعة: الاولى ۱۳۹۷ هـ . ش ـ ۱٤۳۹ هـ ق

الشابك: ۱ ـ ۹٦ ـ ۷٤٥٥ ـ ۹٦٤ ـ ۹۷۸

مركزالتوزيع: المركزالعالمي للمستبصرين التابع لمؤسسة الإمام الهادي عليه السلام

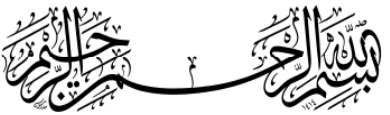

كلمة المركز

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطيبين الطاهرين، وشيعتهم إلى يوم الدين.

وبعد، عاماً بعد عام وحتّى قيام الساعة يتجدد الولاء الحسيني بإحياء ذكرى أربعينية الإمام الحسين عليه السلام وفاجعة سبي حريم أهل البيت عليهم السلام.

ولديمومة هذا الولاء والاتباع الذي أمرنا به من قبل نبيّ الرحمة، والذي لم تف الأُمّة به مذ رحل صلى الله عليه وآله، سالكة منعطفاً خطيراً مأدلجاً بالعنف والإرهاب بتخطيط المتقربين فضلاً عن الموتورين من آل أميّة،

وإلى يومنا الحاضر، يتحتّم على أتباع أهل البيت عليهم السلام وعشاق الحسين عليه السلام تبيان وكشف هذا المخطّط الخبيث الهادف لتشويه مدرسة أهل البيت عليهم السلام والدين الحنيف.

ومن هذا المنطلق عمل كاتبنا الموفّق الأستاذ (صالح الورداني) على رفد المكتبة الإسلامية بكتاباته ومقالاته الكاشفة لزيف وتعرية نهج أعداء أهل البيت عليهم السلام وخصومهم. وما كتابه هذا إلى تكملة لمسيرة تأليفاته المباركة بعد الاستبصار.

ولتعميم الفائدة قام (مركز المستبصرين) المهتمّ بشؤون الإخوة المستبصرين، التابع لمؤسّسة الإمام الهادي عليه السلام، ذات النشاطات الواسعة العلمية منها والخدميّة، بطبع ونشر هذا الكتاب.

هذا ونسأل العليّ القدير التوفيق لمؤسّسي هذا الصرح الكبير وجميع العاملين فيه، وأن يجعله في ميزان أعمالهم، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

تقديم

كان رأس الحسين عليه السلام أوّل رأس من أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله حمل في تاريخ المسلمين..

لا كما يروون ويقولون في تاريخ الإسلام، فإنّ تاريخ الإسلام توقّف بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وبدأ تاريخ المسلمين..

وخطّ هذا التاريخ بالسيوف والدماء..

بدأ بالغزو على مستوى الخارج تحت مسمّى الجهاد..

وبالبطش على مستوى الداخل تحت مسمّى الطاعة والجماعة..

وعلى هذا الأساس تمّ البطش بالحسين وأبناء أهل البيت عليهم السلام.

كان استحلال دم الحسين عليه السلام وأبناء الرسول صلى الله عليه وآله في كربلاء هو الفاتحة لاستحلال دماء الآخرين..

وما دام قد استحلّت دماء أهل البيت وأبناؤهم عليهم السلام فمن الأولى أن

تستحلّ دماء الآخرين..

من هنا استمرّ البطش والإرهاب والتنكيل في واقع المسلمين، ولا زال مستمرّاً..

وساد العقل المتطرّف المعادي للمخالف والرافض لقبوله..

كان الحسين يمثل أهل البيت عليهم السلام ويرفع راية العدل والتسامح..

وكان خصومه يمثلون حكومة غاصبة ترفع راية الظلم والإرهاب..

وبقتله طويت راية العدل والتسامح وساد الظلم والإرهاب..

وليس هناك من طريق لعودة العدل والتسامح إلاّ بإحياء نهج الحسين عليه السلام..

وإحياء هذا النهج هو إحياء لنهج أهل البيت عليهم السلام ورسالتهم..

وكم نحن في حاجة لنهجهم ورسالتهم اليوم..

صالح الورداني

القاهرة

.

الحسين عليه السلام بين الماضي والحاضر

لم تكن حركة الحسين عليه السلام طفرة في تاريخ الإسلام؛ بل هي ملازمة لحركة الأديان وامتداد لها..

تمّ قتل العديد من الرسل والأنبياء في دائرة الأديان السابقة..

وتمّ قتل العديد من الأئمّة والرموز والمصلحين في دائرة الإسلام..

وكان على رأس هؤلاء الأئمّة الحسين عليه السلام.

لقد أحدث قتل الحسين عليه السلام هزّة شديدة في واقع الأُمّة بقيت آثارها ممتدة ولا تزال ممتدة.. وصحوة أفزعت الحكّام وأعداء الإسلام..

وأصبح الحسين عليه السلام رمزاً للثورة والتغيير..

من هنا تحوّلت ذكراه وسيرته إلى وسيلة لتعبئة الأُمّة وإنهاضها..

ومن هنا أيضاً أصبح الحسين عليه السلام مطلوباً حتّى وهو شهيد في عالم

الغيب..

لقد بدأت الحرب على الحسين عليه السلام بقتله، ثمّ درس قبره، ثـمّ التعتـيم على قيمته والتشكيك في دوره..

وامتدت إلى الـبطش بأنـصاره، ومـنعهم مـن زيـارة مرقـده وإحيـاء ذكراه..

وأصبح أنصاره ومحبّيه في دائرة الخطـر الـدائم عـلى مـستوى المـاضي والحاضر من قبل الحكومات التي ناصبت أهل البيت عليهم السلام العداء، ومـن قبل الفرق والمذاهب المتحالفة معها.

ـ في الماضي:

منذ أن تمّ قتل الحسين عليه السلام أُخفى قبره ومنع ذكره، وساد هذا الوضع طوال فترة الحكم الأموي وفترات من الحكم العبّاسي..

روى الطبري (ت٣١٠هـ) في حوادث عام (٢٣٦هـ) ذكر خـبر هـدم قبر الحسين بن عليّ عليهما السلام:

«(وفيها) أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن عليّ وهـدم مـا حولـه مـن المنازل والدور، وأن يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فذكر أنّ عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية: من وجـدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق، فهرب الناس وامتنعوا من المـصير

إليه، وحرث ذلك الموضع وزرع ما حواليه»[١].

وروى الأصبهاني (ت٣٥٦هـ) في (مقاتل الطالبيين) عن أيام المتوكّل:

«وكان المتوكّل شديد الوطأة على آل أبي طالب، غليظاً على جماعتهم مهتماً بأمورهم شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظنّ والتهمة لهم، واتّفق له أنّ عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره يسيء الرأي فيهم، فحسن له القبيح في معاملتهم، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العبّاس قبله، وكان من ذلك أن كرب قبر الحسين وعفى أثاره، ووضع على سائر الطرق مسالح له لا يجدون أحداً زاره إلاّ أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة»[٢].

وروى ابن مسكويه (ت٤٢١هـ) في (تجارب الأُمم) عن حوادث سنة ستّ وثلاثين ومائتين:

«ومن حوادثها هدم قبر الحسين عليه السلام.. وفيها أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين عليه السلام وما حوله من المنازل والدور وأن يبذر ويمنع الناس من

(١) تاريخ الرسل والملوك ج٧ ص٣٦٥.

(٢) مقاتل الطالبيين ص٣٩٥.

إتيانه»[١].

وقال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) في (المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم):

«أنّ المتوكّل أمر بهدم قبر الحسين بن عليّ عليهما السلام، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر ويسقي موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فنادى صاحب الشرطة في الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثالثة بعثنا به إلى المطبق، فهرب، وامتنعوا من المصير إليه، وحرث ذلك الموضع وزرع ما حوله»[٢].

وروى ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) في (الكامل) عن سنة ستّ وثلاثين ومائتين:

«في هذه السنة أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن عليّ عليه السلام وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فنادى [عامل صاحب الشرطة] بالناس في تلك الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه في المطب! فهرب الناس وتركوا زيارته، وخرب وزرع...»[٣].

---

(١) تجارب الأُمم ج٤ ص٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٢) المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ج١١ ص٢٣٧.

(٣) الكامل في التاريخ ج٧ ص٥٥.

وروى الملطي (ت٦٨٥هـ) في (تاريخ مختصر الدول):

«وفي سنة ستّ وثلاثين ومائتين أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن عليّ، وأن يبذر ويسقى موضعه، وأن يمنع الناس من إتيانه»[1].

وروى الذهبي (ت٧٥٨هـ) في (تاريخ الإسلام):

«وفيها أمر المتوكّل بهدم قبر السيّد الحسين بن عليّ(رضي الله عنهما)، وهدم ما حوله من الدور، وأن تعمل مزارع. ومنع الناس من زيارته، وحرث وبقي صحراء. وكان معروفاً بالنصب، فتألّم المسلمون لذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد، وهجاه الشعراء، دعبل، وغيره. وفي ذلك يقول يعقوب بن السكيت.. وقد بقي إلى بعد الثلاثمائة:

بالله إن كانت أُميّة قد أتت ... قتل ابن بنت نبيّها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لايكونوا شاركوا ... في قتله فتتبّعوه رميما»[2]

---

(١) تاريخ مختصر الدول ج١ ص٧٩.

(٢) تاريخ الإسلام ج١٧ ص١٨.

ابن سكيت قتل في الخامس من شهر رجب سنة ٢٤٤هـ والمشهور في المصادر أنّ الأبيات للبسامي المتوفى في صفر سنة ٣٠٣ أو ٣٠٢هـ. انظر: نشوار المحاضرة ⇦

وقال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) في (البداية والنهاية): «وأمّا قبر الحسين رضي الله عنه فقد اشتهر عند كثير من المتأخّرين أنّه في مشهد عليّ. بمكان من الطفّ عند نهر كربلاء، فيقال: إنّ ذلك المشهد مبني على قبره»[1].

ـ في الحاضر

وفي العصر الحالي برزت الفرق السلفية الوهابية لتحارب الحسين وأهل البيت عليهم السلام وتعمل على محو ذكرهم، وتبعتها في ذلك الفرق المتطرّفة التي تفرّخت من خلالها، ودخلوا في صدام مع أنصار أهل البيت وأحبّاء الحسين عليه السلام، ولا يزال هذا الصدام مستمرّاً.. واتّخذت القوى المعادية للإسلام والمسلمين هذه الفرق ستاراً لها.

والحرب التي شنت على الحسين عليه السلام ولا زالت تشن ليس المقصود منها شخص الحسين عليه السلام وإنّما نهج أهل البيت عليهم السلام الذي يمثله

⇨

وأخبار المذاكرة للتنوخي ج٦ ص٣٢٢، وفيات الأعيان لابن خلكان ج٣ ص٣٦٥، المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ج٢ ص٦٨، تاريخ ابن الوردي ج١ ص٢٤٥، البداية والنهاية لابن كثير ج١١ ص١٤٣، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهر للأتابكي ج٣ ص١٩٠، أعيان الشيعة لمحسن الأمين ج١ ص١٧٢.

(١) البداية والنهاية ج٨ ص٢٢٩.

الحسين عليه السلام، المقصود منها ضرب الإسلام الحق الذي يرفع رايته أهل البيت عليهم السلام.

ولقد عمل أعداء الإسلام على تفريق المسلمين وضربهم ببعضهم، وكانت هذه الفرق هي الأداة، وهذه الفرق لا ترفع راية الإسلام وإنّما ترفع راية الطائفية، وهى لا تنطق باسم الدين وإنّما تنطق باسم الخوارج.

والحرب المستمرّة على أهل البيت عليهم السلام إنّما تؤكّد لنا أنّ الحسين عليه السلام لازال حيّاً بيننا، وهو ما جعله مطلوباً من قبل أعداء الإسلام عبر الزمان..

روى الطبراني (ت٣٦٠هـ): «لمّا نزل عمر بن سعدٍ بحسينٍ، وأيقن أنّهم قاتلوه، قام في أصحابه خطيباً، فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه، ثمّ قال: قد نزل ما ترون من الأمر، وإنّ الدنيا تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها، واستمرّت حتّى لم يبق منها إلاّ كصبابة الإناء، إلاّ خسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحقّ لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادةً، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً»[1].

(١) المعجم الكبير ج٣ ص١١٤ ـ ١١٥.

وهكذا خطّ لنا الحسين عليه السلام طريق الثورة ومقاومة الظلم والطغيان، ورفض المساومة والعيش في ظلّ الأنظمة الفاسدة المستبدّة، وهذا ما جعله محارَباً ومطلوباً، ونهجه مرفوضاً، وهو ما دفع الحكّام عبر الزمان إلى السعي لاستئصال هذا النهج والبطش بالموالين والمحبّين للحسين عليه السلام، وما دفع بأصحاب الفرق والمذاهب الموالين للحكام إلى رفض هذا النهج والتعتيم عليه وعلى شخص الحسين عليه السلام، وإضفاء المشروعية على النهج السائد المخاصم لأهل البيت عليهم السلام، والدفع بالمسلمين إلى قبوله والرضا به.

النبوءات بالحسين عليه السلام

لعبت النبوءات دوراً بارزاً في حركة الأديان، ولعبت دوراً خاصّاً في دائرة الإسلام..

وقد تنبأ رسول الله صلى الله عليه وآله بالعديد من الأمور الهامّة والحوادث الجسام التي تتعلّق بمستقبل الدين والأُمّة، وعلى رأس هذه النبوءات ما يتعلّق منها بأهل البيت عليهم السلام الذين يرتبط بهم مستقبل الدين ووجوده ..

وأخذت النبوءات الخاصّة بالحسين عليه السلام وحركته مكاناً بارزاً وسطها، إلاّ أنّ التيار المخاصم لأهل البيت عليهم السلام الذي ساد واقع المسلمين بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله عمل على ضرب هذه النبوءات والتعتيم عليها..

وبعد تحقّق النبوءة الخاصّة بالحسين عليه السلام وقتله ازدادت الضغوط وصور التعتيم، حيث تمّ تكميم الأفواه وقطع الرؤوس والألسنة، وأصبحت الكلمة للسيف..

ولمّا كان الله سبحانه قد وعد بإظهار دينة على الدين كلّه، ولمّا كان دوام الباطل يناقض العدل الإلهي.. كان لا بدّ من أن تسطع الحقيقة

بنورها لتبدّد ظلمات الباطل، وتظهر قيمة أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم على مرّ الزمان، ويظهر الحسين عليه السلام ودوره، وتعلن النبوءات الخاصّة بهم عن نفسها.

جاءت على لسان الرسول صلى الله عليه وآله العديد من النبوءات التي كشفت لنا قيمة حركة الحسين عليه السلام وأهميتها، وما تشير إليه هذه النبوءات هو أنّها تضفي المشروعية على حركته، وتدحض جميع الشبهات التي أثارها الخصوم حولها..

روى ابن حنبل (ت٢٤١هـ) في (فضائل الصحابة): «عن أُمّ سلمة، قالت: كان جبريل عليه السلام عند النبيّ صلى الله عليه وآله والحسين معي فبكى، فتركته فدنا من النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال جبريل: أتحبّه يا محمّد؟ فقال: نعم. فقال: إنّ أُمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، فأراه إيّاه فإذا الأرض يقال لها كربلاء»[1].

وروى في مسنده عن أنس بن مالك: «إنّ ملك المطر استأذن ربّه أن يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله، فأذن له، فقال لأُمّ سلمة: املكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد، قال: وجاء الحسين ليدخل فمنعته، فوثب فدخل، فجعل

(١) فضائل الصحابة ج٢ ص٧٨٢.

يقعده على ظهر النبيّ ﷺ وعلى منكبه وعلى عاتقه، قال: فقال الملك للنبيّ ﷺ: أتحبّه؟ قال: نعم، قال: أما إنّ أُمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء، فأخذتها أُمّ سلمة فصرّتها في خمارها. قال: قال ثابت بلغتها إنّها كربلاء»[1].

وروي عن أُمّ سلمة، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا نام لم يترك أحداً يدخل عليه؛ إلاّ حسناً وحسيناً رضي الله عنهما، قالت: فنام يوماً في بيتي، وجلست على الباب أمنع من يدخل، فجاء حسين يسعى فخليت عنه، فذهب حتّى سقط على بطنه، ففزع رسول الله ﷺ وهو يبكي فالتزمه، فقلت: يا رسول الله! ما لك تبكي وقد نمت وأنت مسرور؟ فقال: إنّ جبريل عليه السلام أتاني بهذه التربة، قالت: وبسط رسول الله ﷺ كفّه، فإذا فيها تربة، حمراء، فأخبرني أنّ ابني هذا يقتل في هذه التربة، قالت: فقلت: ما هذه الأرض؟ قال: (هذه كربلاء)، فقلت: أرض كرب وبلاء»[2].

وعن عبد الله بن نجي الحضرمي، عن أبيه ـ وكان صاحب مطهرة عليّ رضي الله عنه ـ قال: خرجنا مع عليّ رضي الله عنه إلى صفّين، فلمّا حاذى نينوى قال:

(١) مسند أحمد ج٣ ص٢٤٢. وانظر: مسند أبي يعلى ج٦ ص١٢٩، صحيح ابن حبّان ج١٥ ص١٤٢، المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١٠٦.

(٢) الشريعة للآجري ص٦٣١.

صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله، بشطّ الفرات. قال: قلت: وماذا؟ قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تفيضان، قال: فقلت له: هل أغضبك أحد يا رسول الله؟ ما لي أرى عينيك تفيضان؟ قال: أخبرني جبريل عليه السلام أنّ أُمّتي تقتل ابني الحسين. ثمّ قال لي: هل لك أن أريك من تربته؟ قال: قلت: نعم، قال: فمدّ يده فقبض قبضة، فلمّا رأيتها لم أملك عيني أن فاضتا»[1].

وروي عن أُمّ سلمة، قالت: «كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله في بيتي، فنزل جبريل عليه السلام، فقال: يا محمّد! إنّ أُمّتك تقتل ابنك هذا من بعدك فأومأ بيده إلى الحسين فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وضمه إلى صدره ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وديعة عندك هذه التربة فشمها رسول الله صلى الله عليه وآله وقال ويح كرب وبلاء قالت وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا أُمّ سلمة إذا تحوّلت هذه التربة دما فاعلمي أن مشهور قد قتل قال فجعلتها أُمّ سلمة في قارورة، ثمّ جعلت تنظر إليها كلّ يوم وتقول: إنّ يوماً تحوّلين

(١) الشريعة للآجري ص١٣٣. وانظر: مسند أحمد ج١ ص٨٥، الآحاد والمثاني للضحّاك ج١ ص٣٠٩، مسند أبي يعلى ج١ ص٢٩٨، البحر الزخار للبزّار ج٣ ص١٠١.

دماً ليوم عظيم»[١].

وعن ابن عبّاسٍ، قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يرى النائم بنصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، فقلت: معبد أنت وأُمّي يا رسول الله! ما هذا؟ فقال: دم الحسين وأصحابه، لم أزل التقطه منذ اليوم، فأحصى ذلك اليوم فوجد قد قتل يومئذ»[٢].

وعن هاني بن هاني، عن عليّ رضي الله عنه، قال: (ليقتلنّ الحسين قتلاً، وإنّي لأعرف التربة التي يقتل فيها، قريباً من النهرين)[٣].

وعن العلاء بن أبي عائشة، عن أبيه، عن رأس الجالوت، قال: «كنّا نسمع أنّه يقتل بكربلاء بن نبيّ...»[٤].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١٠٦. وانظر: الأمالي للشجري ج١ ص٢١٥، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١٤ ص١٩٣.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١١٠. وانظر: مسند أحمد ج١ ص٢٨٣، دلائل النبوّة للبيهقي ج٦ ص٤٧١، الاستيعاب لابن عبد البرّ ج١ ص٣٩٥ ــ ٣٩٦، مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي ص٣١٧.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١١٠، مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٩٠.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١١١، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١٤ ص٢٠٠، سير أعلام النبلاء للذهبي ج٣ ص٢٩١، الكنى والأسماء للدولابي ج٣ ص٦٩٦.

وعن الشعبي، قال: «رأيت في النوم كأنّ رجالاً نزلوا من السماء معهم حراب يتتبّعون قتلة الحسين رضي الله عنه، فما لبثت أن نزل المختار فقتلهم»[١].

وعن بن شهاب، قال: «ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن عليّ إلاّ عن دم...»[٢].

وروى عن أُمّ سلمى(رضي الله عنها)، قالت: «سمعت الجنّ تنوح على الحسين...»[٣].

وجاء في (طرح التثريب) لزين الدين العراقي (ت٨٠٦هـ):

«وقد أخبر النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقتله فيما رواه أحمد في مسنده من حديث عائشة أو أُمّ سلمة أنّ النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل علي قبلها. فقال لي: إنّ ابنك هذا حسيناً مقتول، وإن شئت أريتك

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١١٣، مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٩٦.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، معرفة الصحابة لأبي نعيم ج٢ ص٦٦٧، مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٩٦.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١٢١، الآحاد والمثاني للضحّاك ج١ ص٣٠٨، مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٩٩، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١٤ ص٢٣٩، البداية والنهاية لابن كثير ج٦ ص٢٥٩.

من تربة الأرض التي يقتل بها. قال: فأخرج تربة حمراء. ورواه عبد الرزاق فجعله عن أُمّ سلمة من غير شكّ..

وروى أحمد أيضاً من حديث أنس: أنّ ملك القطر استأذن أن يأتي النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ فأذن له فقال: لأُمّ سلمة: أمسكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد، قال: وجاء الحسين ـ عليه السلام ـ ليدخل فمنعته، فوثب فدخل فجعل يقعد على ظهر النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ وعلى منكبه وعلى عاتقه، قال فقال الملك للنبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ: أتحبّه؟ فقال: نعم، فقال: فإنّ أُمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل به، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها أُمّ سلمة فصرّتها في خمارها. قال: ثابت بلغنا أنّها كربلاء.

وقد روى عبد الله بن أحمد في زياداته على المسند من حديث أُمّ سلمة نحو هذا إلاّ أنّ فيه: أنّ الملك جبريل، وزاد في آخره: فشمها رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ريح كرب وبلاء. وقال: يا أُمّ سلمة إذا تحوّلت هذه التربة دماً فاعلمي أنّ ابني قد قتل؛ فجعلتها أُمّ سلمة في قارورة، ثمّ جعلت تنظر إليها كلّ يوم وتقول: إنّ يوماً تحوّلين دماً ليوم عظيم.

وروى أحمد في مسنده من رواية عمّار بن أبي عمّار عن ابن عبّاس قال: رأيت النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ في المنام بنصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه أو تتبّع فيها شيئاً فقلت: يا رسول الله! ما هذا؟ قال: دم الحسين

وأصحابه لم أزل أتتبّعه منذ اليوم. قال عمّار: فحفظنا ذلك فوجدناه قتل ذلك اليوم. وقد اختلف في قاتله فقيل: رماه عمرو بن خالد الطهوي بسهم في جنبه، وقيل: طعنه سنان النخعي فصرعه، واحتز رأسه خولي الأصبحي، وقيل: إنّ الذي احتز رأسه الشمر بن ذي الجوشن لا رضي الله عن الأربعة»[1].

(١) طرح التثريب ص٤١.

شهادة الفقهاء

* روى ابن حبّان في صحيحه باب ذكر الأخبار عن قتل هـذه الأُمّـة ابن ابنة المصطفىصلى الله عليه وآله:

«عن أنس بن مالك، قال: استأذن ملك القطر ربّه أن يـزور النبـيّصلى الله عليه وآله فأذن له، فكان في يوم أُمّ سلمة، فقال النبيّصلى الله عليه وآله: احفظـي علينـا البـاب لا يدخل علينا أحد، فبينا هي على البـاب إذ جـاء الحـسين بـن عـليّ فظفـر فاقتحم ففتح الباب فدخل، فجعل يتوثـب عـلى ظهـر النبـيّصلى الله عليه وآله وجعـل النبيّ يتلثمه ويقبله، فقال له الملك: أتحبّه؟ قال: نعم. قـال أمـا إنّ أُمّتـك ستقتله، إن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه؟ قال: نعم، فقبض قبـضة من المكان الذي يقتل فيه فأراه إياه، فجاءه بسهلة أو تراب أحمر، فأخذته أُمّ سلمة فجعلته في ثوبها»[1].

وجاءت هذه الرواية أيضاً في مسند أحمد، وفي مسند أنس بن مالـك، وفي مسند أبي يعلي، وفي (موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان) لأبـى بكـر الهيثمي، وفي (معرفة الصحابة) لأبي نعيم الأصبهاني، وفي (كنز العمال في

---

(١) صحيح ابن حبّان ج١٥ ص١٤٢.

سنن الأقوال والأفعال) لعلاء الدين المتّقي الهندي، وفي (الجامع الكبير) للسيوطي، وفي (المعجم الكبير) للطبراني، وفي (إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة) للبوصيري.

* وجاء في (فيض القدير شرح الجامع الصغير) للمناوي:

«وتفصيل قصّة قتله تمزّق الأكباد، وتذيب الأجساد، فلعنة الله على من قتله أو رضي أو أمر وبعداً له كما بعدت عاد، وقد أفرد قصّة قتله خلائق بالتأليف:

قال أبو الفرج بن الجوزي في كتابه الردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد: أجاز العلماء الورعون لعنه.

وفي فتاوى حافظ الدين الكردي الحنفي: لعن يزيد يجوز، لكن ينبغي أن لا يفعل، وكذا الحجّاج.

قال ابن الكمال: وحكى عن الإمام قوام الدين الصفاري، ولا بأس بلعن يزيد...

وسئل ابن الجوزي عن يزيد ومعاوية؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من دخل دار أبي سفيان فهو أمن، وعلمنا أنّ أباه دخلها فصار آمنا، والابن لم يدخلها.

ثمّ قال المولى ابن الكمال: والحق أنّ لعن يزيد على اشتهار كفره وتواتر

فظاعته وشرّه على ما عرف بتفاصيله جائز.

وذلك هو محمل قول العلاّمة التفتازاني: لا أشكّ في إسلامه، بل في إيمانه، فلعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه.

قيل لابن الجوزي وهو على كرسي الوعظ: كيف يقال يزيد قتل الحسين وهو بدمشق والحسين بالعراق؟ فقال:

سهم أصاب ورامیه بذي سلم من بالعراق لقد أبعدت مرماكا

وقد غلب على ابن العربي الغض من أهل البيت حتّى قال: قتل بسيف جده[1].

وأخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عبّاس: أوحى الله تعالى إلى محمّدﷺ: إنّي قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإنّي قاتل بابن ابنتك الحسين سبعين ألفاً وسبعين ألفاً. قال الحاكم: صحيح الإسناد. وقال الذهبي: وعلى شرط مسلم.

وقال ابن حجر: ورد من طريق واه عن عليّ مرفوعاً: قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا.

وروى ابن سعد في طبقاته من حديث المدائني، عن يحيى بن زكريا،

(١) سوف نستعرض أقوال ابن العربي لاحقاً في ملحق الكتاب.

عن رجل، عن الشعبي، عن عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين(كرم الله وجهه)، قال: دخلت على النبيّ صلى الله عليه وآله ذات يوم وعيناه تفيضان... قال فذكره، (أي نفس الحديث السابق)، وروى نحوه أحمد في المسند فعزوه إليه...

وفي معجم الطبراني عن عائشة مرفوعاً: أخبرني جبريل أنّ ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطفّ، وجاءني بهذه التربة، وأخبرني أن فيها مضجعه. وفيه عن أُمّ سلمة، وزينب بنت جحش، وأبي أمامة، ومعاذ، وأبي الطفيل، وغيرهم ممن يطول ذكرهم نحوه»[1].

* وجاء في (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم) للمحدّث الحافظ أبو العبّاس أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٥٦هـ):

«وأمّا الحسين ـ رضى الله عنه ـ، فكان فاضلاً، ديِّناً، كثير الصوم، والصلاة، والحجّ. قال مصعب الزبيري: حجَّ الحسين خمساً وعشرين حجَّة ماشياً.

وقد قال النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ فيه وفي الحسن: (إنّهما سيِّدا شباب أهل الجنّة)، وقال: (هما ريحانتاي من الدنيا). وكان النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ إذا رآهما هشَّ لهما،

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ج١ ص٢٦٥ ـ ٢٦٦.

وربّما أخذهما، كما روى أبو داود: أنّهما دخلا المسجد وهو يخطب فقطع خطبته ونزل فأخذهما، وصعد بهما، وقال: (رأيت هذين، فلم أصبر). وكان يقول فيهما: (اللّهمّ إنّي أحبّهما فأحبهما، وأحِبَّ من يحبّهما).

وقتل رحمه الله، ولا رحم قاتله يوم الجمعة لعشر خلون من محرم سنة إحدى وستين بموضع يقال له: كربلاء، بقرب موضع يقال له: الطفُّ بقرب من الكوفة...

وكان من قضاء الله تعالى وتعجيل عقوبته لعبيد الله بن زياد: أن قتل يوم عاشوراء سنة سبع وستين. قتله إبراهيم بن الأشتر في الحرب، وبعث برأسه إلى المختار، وبعث به المختار إلى ابن الزبير، فبعث به إلى عليّ بن حسين...

وروي عن ابن عبّاس(رضي الله عنهما) أنّه قال: رأيت النبيّ ـ ﷺ ـ فيما يرى النائم نصف النهار، وهو قائم أشعث، أغبر، بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله! ما هذا؟ قال: (هذا دم الحسين، لم أزل ألقطه منذ اليوم)، فوجد قد قتل في ذلك اليوم»[1].

(١) المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم ج٩ ص١١٨ ــ ١١٩، باب فضائل الحسن والحسين.

* وجاء في (أسد الغابة) لابن الأثير (ت٦٣٠هـ):

«وروى الأوزاعي عن شدّاد بن عبد الله، قال: سمعت واثلة بن الأسقع وقد جيء برأس الحسين فلعنه رجل من أهل الشأم ولعن أباه، فقام واثلة وقال: والله لا أزال أحبّ عليّاً والحسن والحسين وفاطمة بعد أن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيهم ما قال..

لقد رأيتني ذات يوم وقد جئت النبيّ صلى الله عليه وآله في بيت أُمّ سلمة فجاء الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى وقبله، ثمّ جاء الحسين فأجلسه على فخذه اليسرى وقبله، ثمّ جاءت فاطمة فأجلسها بين يديه، ثمّ دعا بعليّ، ثمّ قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[1].

قلت: لواثلة ما الرجس؟ قال: الشكّ في الله عزّ وجلّ.

قال أبو أحمد العسكري: يقال إنّ الأوزاعي لم يرو في الفضائل حديثاً غير هذا، والله أعلم. قال: وكذلك الزهري لم يرو فيها إلاّ حديثاً واحداً، كانا يخافان بنى أُميّة»[2].

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٣.

(٢) أسد الغابة ج٢ ص٢٠ ترجمة الحسين.

ومن هنا يتبيّن لنا أنّ حركة الحسين عليه السلام هي حركة ربانية مباركة، وامتداد لحركة الرسل والرسالات، ولم تكن حركة عشوائية تلقائية أو ردّ فعل.

لقد كان الحسين عليه السلام يتحرّك وفق منظومة شرعية مرتّبة. وهذا كلّه يؤدّي لفهم سرّ خروج الحسين عليه السلام والهدف الكامن وراء خروجه، ولماذا ضحى بنفسه وأهل بيته؟

خصوم الحسين عليه السلام

كان خصوم الحسين عليه السلام في الماضي هم الحكّام والفرق والمذاهب..

وفي الحاضر تمثّل الخصوم في الفرق السلفية الوهابية ومن ورائهم..

على مستوى الماضي، تبنّى الحكّام والمذاهب والمؤرّخون نهج الخصومة للحسين عليه السلام، وعتّموا على حركته، وقلّلوا من أهميتها وتأثيرها؛ ويعود السبب في هذا الموقف إلى كونهم نظروا للحسين عليه السلام نظرة مجرّدة من القداسة، ولم يقرّوا بقيمته ودوره الذي رسمه له الشرع وحدّده الرسول صلى الله عليه وآله.

وعلى مستوى الحاضر، تبنّى المسلمون نفس النظرة، وانتقدوا الحسين عليه السلام لخروجه.

والخلاصة: أنّ الجميع نظر لحركة الحسين عليه السلام نظرة وضعية لا شرعية..

وسوف نعرض هنا ثلاث نماذج من هؤلاء الخصوم على مستوى الماضي والحاضر، هم: ابن تيمية، وتلميذه ابن كثير، ثمّ الألباني المحدّث السلفي الوهابي المعاصر.

ـ قال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) في جوابه عن سؤال حول رأس الحسين:

«ويزيد بن معاوية: قد أتى أموراً منكرةً. منها: وقعة الحرّة. وقد جاء في الصحيح عن عليّ رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: (المدينة حرامٌ ما بين عيرٍ إلى كذا. من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ)، وقال: (من أراد أهل المدينة بسوء أماعه الله كما ينماع الملح في الماء).

ولهذا قيل للإمام أحمد: أتكتب الحديث عن يزيد؟ فقال: لا ولا كرامة، أو ليس هو الذي فعل بأهل الحرّة ما فعل. وقيل له ــ أي فيما يقولون ـ أما تحبّ يزيد؟ فقال: وهل يحبّ يزيد أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر؟ فقال له ولده: فلماذا لا تلعنه؟ فقال: ومتى رأيت أباك يلعن أحداً.

ومذهب أهل السُنّة والجماعة: أنّهم لا يكّفرون أهل القبلة بمجرّد الذنوب ولا بمجرّد التأويل؛ بل الشخص الواحد إذا كانت له حسناتٌ وسيئاتٌ فأمره إلى الله. وهذا الذي ذكرناه هو المتّفق عليه بين الناس في مقتل الحسين...

وقد رويت ــ في شأن الحسين عليه السلام ــ زياداتٌ: بعضها صحيحٌ،

وبعضها ضعيفٌ، وبعضها كذبٌ موضوعٌ...

فقد تبيّن أنّ القصّة التي يذكرون فيها حمل رأس الحسين إلى يزيد ونكته إياها بالقضيب، كذبوا فيها وإن كان الحمل إلى ابن زيادٍ ــ وهو الثابت بالقصّة ـ فلم ينقل بإسناد معروفٍ أن الرأس حمل إلى قدام يزيد. ولم أر في ذلك إلاّ إسناداً منقطعاً، قد عارضه من الروايات ما هو أثبت منه وأظهر ـ نقلوا فيها أنّ يزيد لمّا بلغه مقتل الحسين أظهر التألّم من ذلك، وقال: لعن الله أهل العراق، لقد كنت أرضى من طاعتهم بدون هذا. وقال في ابن زياد: أما إنّه لو كان بينه وبين الحسين رحمٌ لما قتله، وأنّه ظهر في داره النوح لمقتل الحسين، وأنّه لمّا قدم عليه أهله وتلاقى النساء تباكين، وأنّه خير ابنه عليّاً بين المقام عنده والسفر إلى المدينة فاختار السفر إلى المدينة، فجهزه إلى المدينة جهازاً حسناً.

فهذا ونحوه ممّا نقلوه بالأسانيد التي هي أصحّ وأثبت من ذلك الإسناد المنقطع المجهول تبيّن أنّ يزيد لم يظهر الرضا بقتل الحسين، وأنّه أظهر الألم لقتله، والله أعلم بسريرته. وقد علم أنّه لم يأمر بقتله ابتداءً لكنّه مع ذلك ما انتقم من قاتليه ولا عاقبهم على ما فعلوا، إذ كانوا قتلوه لحفظ ملكه الذي كان يخاف عليه من الحسين وأهل البيت.

والمقصود هنا: أنّ نقل رأس الحسين إلى الشام لا أصل له في زمن

يزيد، فكيف بنقله بعد زمن يزيد؟ وإنّما الثابت: هو نقله من كربلاء إلى أمير العراق عبيد الله بن زياد بالكوفة. والذي ذكر العلماء: أنّه دفن بالمدينة. وأمّا ما يرويه من لا عقل له يميّز به وما يقول ولا له إلمامٌ بمعرفة المنقول: من أن أهل البيت سبوا وأنّهم حملوا على البخاتي، وأنّ البخاتي نبت لها من ذلك الوقت سنامان، فهذا من الكذب الواضح الفاضح لمن يقوله، فإنّ البخاتي قد كانت من يوم خلقها الله قبل ذلك ذات سنامين، كما كان غيرها من أجناس الحيوان، والبخاتي لا تستر امرأةً، ولا سبى أهل البيت أحدٌ ولا سُبي منهم أحدٌ... وقد دفن بدن الحسين بمكان مصرعه بكربلاء، ولم ينبش ولم يمثل به. فلم يكونوا يمتنعون من تسليم رأسه إلى أهله كما سلّموا بدن ابن الزبير إلى أهله...»[1].

ـ قال ابن كثير في (البداية والنهاية) في حوادث عام ٦١هـ:

«وأمّا ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيحٌ، فإنّه قلّ من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا، فلم يخرج منها حتّى أصيب بمرض، وأكثرهم أصابهم الجنون. وللشيعة

(١) مجموعة الفتاوى ج٢٧ ص٤٧٨ ـ ٤٨٢.

والرافضة في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة، وفي بعض ما أوردناه نظرٌ، ولولا أنّ ابن جرير وغيره من الحفّاظ والأئمّة ذكروه ما سقته، وأكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى، وقد كان شيعياً، وهو ضعيف الحديث عند الأئمّة، ولكنّه أخباري حافظٌ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره، ولهذا يترامى عليه كثيرٌ من المصنّفين في هذا الشأن ممّن بعده، والله أعلم.

وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها، فكانت الدبادب (الطبول) تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء، ويذر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق، وتعلّق المسوح على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثيرٌ منهم لا يشرب الماء ليلتئِذ موافقةً للحسين لأنّه قتل عطشاناً، ثمّ تخرج النساء حاسرات عن وجههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن، حافيات في الأسواق، إلى غير ذلك من البدع الشنيعة، والأهواء الفظيعة، والهتائك المخترعة، وإنّما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنّعوا على دولة بني أُميّة، لأنّه قتل في دولتهم.

وقد عاكس الرافضة والشيعة يوم عاشوراء النواصب من أهل الشام، فكانوا إلى يوم عاشوراء يطبخون الحبوب، ويغتسلون ويتطيبون

ويلبسون أفخر ثيابهم، ويتّخذون ذلك اليوم عيداً يصنعون فيه أنواع الأطعمة، ويظهرون السرور والفرح، يريدون بذلك عناد الروافض ومعاكستهم.

وتأوّل عليه من قتله أنّه جاء ليفرّق كلمة المسلمين بعد اجتماعها، وليخلع من بايعه من الناس واجتمعوا عليه، وقد ورد في مسلمٍ الحديث بالزجر عن ذلك، والتحذير منه، والتوعد عليه. وبتقدير أن تكون طائفةٌ من الجهلة قد تأوّلوا عليه وقتلوه، ولم يكن لهم قتله، بل كان يجب عليهم إجابته إلى ما سأل، فإذا ذمت طائفةٌ من الجبارين تذمّ الأُمّة كلّها بكمالها ونَتَّهِم على نبيّها صلى الله عليه وآله، فليس الأمر كما ذهبوا إليه، ولا كما سلكوه، بل أكثر الأئمّة قديماً وحديثاً كارهٌ ما وقع من قتله وقتل أصحابه، سوى شرذمةٍ قليلةٍ من أهل الكوفة قبّحهم الله، وأكثرهم كانوا قد كاتبوه ليتوصلّوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة، فلمّا علم ذلك ابن زياد منهم بلغهم ما يريدون في الدنيا وآخذهم على ذلك وحملهم عليه بالرغبة والرهبة، فانكفوا عن الحسين وخذلوه ثمّ قتلوه. وليس كلّ ذلك الجيش كان راضياً بما وقع من قتله، بل ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك والله أعلم، ولا كرهه، والذي يكاد يغلب على الظنّ أنّ يزيد لو قدر عليه قبل أن يقتل لعفا عنه كما أوصاه بذلك أبوه، وكما صرّح هو به مخبراً عن نفسه

بذلك، وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك وشتمه فيما يظهر ويبدو، ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه ولا أرسل يعيب عليه ذلك، والله أعلم.

فكلّ مسلم ينبغي له أن يحزنه قتله، فإنّه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله ﷺ التي هي أفضل بناته، وقد كان عابداً وشجاعاً وسخياً، ولكنّه لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعلّ أكثره تصنعٌ ورياءٌ، وكان أبوه أفضل منه فقتل، وهم لا يتّخذون مقتله مأتماً كيوم مقتل الحسين، فإنّ أباه قتل يوم الجمعة وهو خارجٌ إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وكذلك عثمان كان أفضل من عليّ عند أهل السُنّة والجماعة، وقد قتل وهو محصورٌ في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجّة سنة ستّ وثلاثين، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد، ولم يتّخذ الناس يوم قتله مأتماً، وكذلك عمر بن الخطّاب وهو أفضل من عثمان وعليّ، قتل وهو قائمٌ يصلّي في المحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن، ولم يتّخذ الناس يوم مقتله مأتماً، وكذلك أبو بكر كان أفضل منه ولم يتّخذ الناس يوم وفاته مأتماً، ورسول الله ﷺ سيّد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله، ولم يتّخذ أحد يوم موتهم مأتماً يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين.

ولا ذكر أحد أنّه ظهر يوم موتهم وقبلهم شيء ممّا ادّعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور، مثل كسوف الشمس والحمرة التي تطلع في السماء وغير ذلك»[1].

ـ قال الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها) حول حديث: (قام من عندي جبريل، فحدّثني أنّ الحسين يُقتل بشط الفرات...).

أخرجه أحمد (١/ ٨٥): عن عبد الله بن نجي، عن أبيه: أنّه سار مع عليّ وكان صاحب مطهرته، فلمّا حاذى (نينوى) وهو منطلق إلى صفّين، فنادى عليّ: أصبر أبا عبد الله، أصبر أبا عبد الله بشط الفرات. قلت: وماذا؟ قال: دخلت على النبيّ صلى الله عليه وآله ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبيّ الله! أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان؟! قال: بل قام... ثمّ قال: هل لك إلى أن أشمّك من تربته؟ قال: قلت: نعم. فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا.

قلت: وهذا إسناد ضعيف، نجي والد عبد الله لا يدرى من هو، كما قال الذهبي، ولم يوثّقه غير ابن حبّان وابنه أشهر منه، فمن صحّح هذا

(١) البداية والنهاية ج٨ ص٢٢٠ ـ ٢٢١.

الإسناد فقد وهم. والحديث قال الهيثمي (٩/ ١٨٧): رواه أحمد وأبو يعلى والبزّار والطبراني ورجاله ثقات ولم ينفرد نجي بهذا.

قلت: يعني أنّ له شواهد تقويه، وهو كذلك..

١ـ روى عمّارة بن زاذان، حدّثنا ثابت، عن أنس، قال: استأذن ملك القطر ربّه أن يزور النبيّ صلى الله عليه وآله، فأذن له، فكان في يوم أُمّ سلمة... فبينا هي على الباب إذ دخل الحسين بن عليّ... فجعل يتوثب على ظهر النبيّ صلى الله عليه وآله وجعل النبيّ يتلثمه ويقبله، فقال له الملك: تحبّه؟ قال: نعم. قال: أما إنّ أُمّتك ستقتله، إن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه؟ قال: نعم، فقبض قبضة من المكان الذي يقتل فيه، فأراه إيّاه فجاء سهلة، أو تراب أحمر، فأخذته أُمّ سلمة، فجعلته في ثوبها. قال ثابت: كنّا نقول: إنّها كربلاء. أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٢) و(٢٦٥)، وابن حبّان (٢٢٤١)، وأبو نعيم في الدلائل (٢٠٢).

قلت: ورجاله ثقات غير عمّارة هذا، قال الحافظ: صدوق كثير الخطأ. وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى والبزّار والطبراني بأسانيد وفيها عمّارة بن زاذان، وثّقه جماعة وفيه ضعف، وبقية رجال أبي يعلى رجال الصحيح.

٢ـ وروى محمّد بن مصعب: حدّثنا الأوزاعي، عن أبي عمّار، شدّ اد

بن عبد الله، عن أُمّ الفضل بنت الحارث أنّها دخلت يوماً إلى رسول الله ﷺ.. فوضعته (تعني الحسين) في حجرة، ثمّ حانت منّي التفاتة، فإذا عينا رسول الله تهريقان من الدموع. فقلت: يا نبيّ الله! بأبي أنت وأُمّي مالك؟ قال: أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أنّ أُمّتي ستقتل ابني هذا. فقلت: هذا؟ فقال: نعم، وأتاني بتربة من تربته حمراء. أخرجه الحاكم (٣/ ١٧٦ و١٧٧) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وردّه الذهبي بقوله: قلت: بل منقطع ضعيف، فإنّ شدّاداً لم يدرك أُمّ الفضل، ومحمّد بن مصعب ضعيف.

٣ـ وروى عبد الله بن سعيد، عن أبيه، عن عائشة أو أُمّ سلمة ـ شكّ عبد الله بن سعيد ـ أنّ النبيّ ﷺ قال لإحداهما: لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل علي قبلها. فقال لي: إنّ ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها. قال: فأخرج تربة حمراء. أخرجه أحمد (٦/ ٢٩٤): حدّثنا وكيع، قال: حدّثني عبد الله بن سعيد.

قلت: وهذا إسناد رجاله كلّهم ثقات رجال الشيخين، فهو صحيح، إن كان سعيد، وهو ابن أبي هند سمعه من عائشة أو أُمّ سلمة ولم أطمئن لذلك، فإنّهم لم يذكروا له سماعاً منهما، وبين وفاته ووفاة أُمّ سلمة نحو أربع وخمسين سنة، وبين وفاته ووفاة عائشة نحو ثمان وخمسين، والله

أعلم.

وأخرجه الطبراني عن عائشة نحوه بلفظ: يا عائشة! إنّ جبريل أخبرني أنّ ابني حسين مقتول في أرض الطفّ...

قال الهيثمي (٩/ ١٨٨): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفي إسناد الكبير ابن لهيعة، وفي إسناد الأوسط من لم أعرفه.

٤ـ وأخرجه الطبراني أيضاً عن أُمّ سلمة نحوه بلفظ: إنّ أُمّتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء، فتناول جبريل من تربتها، فأراها النبيّ صلى الله عليه وآله. انظر الاستدراك رقم (٢١/ ٦١).

قال الهيثمي (٩/ ١٨٩): رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها ثقات.

انظر الاستدراك رقم (٢٦/ ٦١).

٥ـ وعن أبي الطفيل، قال: استأذن ملك القطر أن يسلّم على النبيّ صلى الله عليه وآله... قلت: فذكره نحو حديث أنس المتقدّم.

قال الهيثمي (٩/ ١٩٠): رواه الطبراني وإسناده حسن.

٦ـ وروي حجّاج بن نصير: حدّثنا قرّة بن خالد، حدّثنا عامر بن عبد الواحد، عن أبي الضحى، عن ابن عبّاس(رضي الله عنهما)، قال: ما كنّا نشكّ وأهل البيت متوافرون أنّ الحسين بن عليّ يقتل بـ(الطف). أخرجه

الحاكم (٣/ ١٧٩) وسكت عليه، وتعقّبه الذهبي بقوله: قلت: حجّاج متروك.

قلت: بالجملة فالحديث المذكور أعلاه والمترجم له صحيح بمجموع هذه الطرق، وإن كانت مفرداتها لا تخلو من ضعف ولكنّه ضعف يسير، لاسيما وبعضها قد حسّنه الهيثمي، والله أعلم.

فائدة: ليس في شيء من هذه الأحاديث ما يدلّ على قداسة كربلاء وفضل السجود على أرضها، واستحباب اتّخاذ قرص منها للسجود عليه عند الصلاة، كما عليه الشيعة اليوم، ولو كان ذلك مستحبّاً لكان أحرى به أن يتّخذ من أرض المسجدين الشريفين المكّي والمدني، ولكنّه من بدع الشيعة وغلوّهم في تعظيم أهل البيت وآثارهم. ومن عجائبهم أنّهم يرون أنّ العقل من مصادر التشريع عندهم، ولذلك فهم يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين، ومع ذلك فإنّهم يروون في فضل السجود على أرض كربلاء من الأحاديث ما يشهد العقل السليم ببطلانه بداهة»[1].

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٣ ص١٥٩ ـ ١٦٢ الرقم (١١٧١).

المؤرّخون والحسين عليه السلام

يعد الطبري في مقدّمة المؤرّخين الذين رصدوا فاجعة كربلاء وما جرى للحسين وأبناء الرسول صلى الله عليه وآله، وتوسّع في الروايات معتمداً رواية أبي مخنف.

وقد هوجم أبو مخنف من قبل الفقهاء وطعن فيه، لكن العديد من المؤرّخين وكتاب التراجم اعتمدوا روايته، وعلى رأسهم:

ابن الأثير الذي روى له في كتابه (أسد الغابة في معرفة الصحابة) في ترجمة عليّ بن أبي طالب:

«عن أبي مخنف، عن عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الله، عن أبيه، قال: لمّا فرغ عليّ من وصيته، قال: أقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. ثمّ لم يتكلّم إلاّ بلا إله إلا الله حتّى قبضه الله. وغسّله ابناه وعبد الله بن جعفر وصلَّى عليه الحسن ابنه وكبّر عليه أربعاً، وكفّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، ودفن في السحر...».

وقال: ترجم له ابن عبد البرّ صاحب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، قال: «مخنف بن سليم الغامدي، وقيل: العبدي، وليس

بشيء إلاّ أن يكون حليفاً، يعد في الكوفيين، وقد عدّه بعضهم في البصريين، وهو مخنف بن سليم بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة بن الدؤل بن سعد مناة بن غامد، ولاّه عليّ بن أبي طالب أصبهان، وكان على راية الأزد يوم صفّين، وكان له أخوان الصقعب وعبد الله، قتل يوم الجمل، ومن ولده مخنف بن سليم أبو مخنف صاحب الأخبار، واسم أبي مخنف صاحب الأخبار هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم، لا أحفظ لمخنف بن سليم عن النبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ حديث الأضحى والعتيرة. روى عنه أبو رملة، ويقال: أبو رميلة، وابنه حبيب بن مخنف»[1].

ونقل ابن حجر في (الإصابة في تمييز الصحابة) العديد من الروايات التي رواها الطبري عن طريق أبي مخنف، وروى عنه الخطيب صاحب تأريخ بغداد، قال:

«حدّثنا هشام بن محمّد بن السائب أبو منذر الكلبي، عن أبي مخنف لوط بن يحيى، عن فضيل بن خديج، عن كميل بن زياد النخعي، قال: أخذ بيدي أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب بالكوفة فخرجنا حتّى انتهينا

(١) أسد الغابة ج٤ ص٣٨ ـ ٣٩. وانظر: الاستيعاب لابن عبد البرّ ج٤ ص١٤٦٧.

إلى الجبانة، فلمّا أصحر تنفّس الصعداء..

ثمّ قال لي: يا كميل بن زياد! إنّ هذه القلوب أوعية وخيرها أوعاها للعلم، احفظ عنّي ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم ربانى، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

يا كميل بن زياد! العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق.

يا كميل بن زياد! محبّة العالم دين يدان تكسبه الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، ومنفعة المال تزول بزواله، العلم حاكم والمال محكوم عليه.

يا كميل! مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

ألا أن ها هنا ـ وأشار إلى صدره ـ لعلماً جمّاً»[1].

وروى له ابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق) العديد من الروايات.. والذهبي في (سير أعلام النبلاء)، وروى عنه في (ميزان الاعتدال) في

(١) تاريخ بغداد ج٦ ص٣٧٦.

نقد الرجال: حدّثنا هشام بن الكلبي، عن أبي مخنف، عن فضيل بن خديج، عن كميل بن زياد، قال: أخذ بيدي أمير المؤمنين عليّ فخرجنا إلى الجبان... الحديث»[1].

ومن هنا يتبيّن لنا أنّ أبي مخنف من الرواة المعتمدين عند المؤرّخين والفقهاء، وأنّ الموقف المعادي له يعود بسبب تشيّعه وميله لأهل البيت..

الطامة:

على الرغم من الروايات التي جمعها الطبري والتي تنصف بعضها الحسين عليه السلام وهو ما جعله يتميّز على غيره من المؤرّخين، إلاّ أنّه جاء بطامّة تتمثل في رواية تدين الحسين عليه السلام تلقّفها منه العديد من المؤرّخين واعتمدوها لتشويه حركته وتفريغها من مضمونها..

تقول الرواية: «قال أبو مخنف: وأمّا ما حدّثنا به المجالد بن سعيد، والصقعب بن زهير الأزدي، وغيرهما من المحدّثين، فهو ما عليه جماعة المحدّثين. قالوا: إنّه قال: اختاروا منّي خصالاً ثلاث: إمّا أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه، وإمّا أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج١ ص٣٥١.

فيما بيني وبينه رأيه، وإمّا أن تسيّروني إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتم فأكون رجلاً من أهله لي ما لهم وعلي ما عليهم.

إلاّ أنّ أبا مخنف نقض روايته هذه برواية أُخرى..

قال أبو مخنف: فأمّا عبد الرحمن بن جندب، فحدّثني عن عقبة بن سمعان، قال: صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى العراق، ولم أفارقه حتّى قتل.. وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكّة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلاّ وقد سمعتها، ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنّه قال: دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتّى ننظر ما يصير أمر الناس...»[1].

ويظهر لنا من كلام عقبة بن سمعان أنّ الرواة حرّفوا كلام الحسين عليه السلام، وحتّى يتم تمرير هذا التحريف نسبوا الرواية لأبي مخنف..

* وروى ابن الأثير في (الكامل) باب ذكر مقتل الحسين:

«وتحدّث الناس أنّ الحسين قال لعمر بن سعد: اخرج معي إلى يزيد

(١) تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص٣١٣.

ابن معاوية وندع العسكرين. فقال عمر: أخشى أن تهدم داري. قال: أبنيها لك خيراً منه. قال: تؤخذ ضياعي. قال: أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز. فكره ذلك عمر.

وتحدّث الناس بذلك ولم يسمعوه، وقيل: بل قال له: اختاروا منّي واحدة من ثلاث: إمّا أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه، وإمّا أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه، وإمّا أن تسيروا بي إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتم فأكون رجلاً من أهله لي ما لهم وعلي ما عليهم»[1].

ونقض ابن الأثير هذه الرواية برواية عقبة بن سمعان السابق ذكرها، ثمّ أضاف رواية أخرى لدعم روايته عن تنازل الحسين عليه السلام واستسلامه ليزيد..

قال: «ثمّ التقى الحسين وعمر بن سعد مراراً ثلاثاً أو أربعاً. فكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فإنّ الله أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه أو أن نسيره إلى أي ثغر من الثغور شئنا، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع

(١) الكامل في التاريخ ج٤ ص٥٤.

يده في يده، وفي هذا لكم رضى وللأُمّة صلاح. فلمّا قرأ ابن زياد الكتاب قال: هذا كتاب رجل ناصح لأميره، مشفق على قومه، نعم قد قبلت، فقام إليه شمر بن ذي الجوشن، فقال: أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك؟ والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوّة والعزّة، ولتكونن أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة فإنّها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت كنت ولي العقوبة، وإن عفوت كان ذلك لك، ولله لقد بلغني أنّ الحسين وعمر يتحدّثان عامّة الليل بين العسكرين.

فقال ابن زياد: نعم ما رأيت، الرأي رأيك، اخرج بهذا الكتاب إلى عمر فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا فليبعث بهم إليَّ سلماً، وإن أبوا فليقاتلهم، وإن فعل فاسمع له وأطع، وإن أبى فأنت الأمير عليه وعلى الناس، واضرب عنقه وابعث إليَّ برأسه...»[1].

* وروى الذهبي في (تاريخ الإسلام) حوادث سنة واحد وستين:

«فبعث عبيد الله عمر بن سعد فقابلهم، فقال الحسين: يا عمر! اختر

(١) الكامل في التاريخ ج٤ ص٥٥.

منّي إحدى ثلاث: إمّا أن تتركني أن أرجع، أو أن تسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده، فيحكم في ما أرى، فإن أبيت فسيرني إلى الترك، فأقاتلهم حتّى أموت. فأرسل عمر إلى ابن زياد بذلك، فهم أن يسيره إلى يزيد، قال شمر بن ذي الجوشن: لا أيّها الأمير، إلاّ أن ينزل على حكمك، فأرسل إليه بذلك. فقال الحسين: والله لا أفعل. وأبطأ عمر، فأرسل إليه ابن زياد شمر المذكور، فقال: إن تقدّم عمر وقاتل وإلاّ فاقتله وكن مكانه. وكان مع عمر ثلاثون رجلاً من أهل الكوفة قالوا: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ثلاث خصال، فلا تقبلون منها شيئاً وتحوّلوا مع الحسين فقاتلوا...»[1].

* وروى ابن كثير في (البداية والنهاية) في باب الإخبار بمقتل الحسين بن عليّ:

«وطلب منهم الحسين إحدى ثلاث: إمّا أن يدعوه يرجع من حيث جاء، وإمّا أن يذهب إلى ثغر من الثغور فيقاتل فيه، أو يتركوه حتّى يذهب إلى يزيد بن معاوية فيضع يده في يده فيحكم فيه بما شاء.

فأبوا عليه واحدة منهن، وقالوا: لا بدّ من قدومك على عبيد الله بن

(١) تاريخ الإسلام ج٥ ص١٣ ـ ١٤.

زياد فيرى فيك رأيه. فأبى أن يقدم عليه أبداً، وقاتلهم دون ذلك، فقتلوه رحمه الله»[١].

إلا أنّ ما يدحض هذه الرواية ويضربها في مقتل ما رواه الطبراني سابقاً، وروى في نفس المصادر السابقة وغيرها على لسان الحسين: «لمّا نزل عمر بن سعد بحسينٍ، وأيقن أنّهم قاتلوه، قام في أصحابه خطيباً، فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه.. ثمّ قال: قد نزل ما ترون من الأمر، وإنّ الدنيا تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها، واستمرت حتّى لم يبق منها إلاّ كصبابة الإناء، إلاّ خسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحقّ لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً...»[٢].

وهو ما يبدّد تلك الصورة العشوائية المضلّلة عن حركة الحسين عليه السلام التي عمل على نشرها الرواة والمؤرّخين، ويؤكّد لنا أنّ حركته عليه السلام كانت ثورة ضدّ الظلم والطغيان..

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (وفاة: ٧٧٤هـ)، ج٦ ص٢٦٠.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني (وفاة: ٣٦٠هـ)، ج٣ ص١١٤ ـ ١١٥.

الوهابيون والحسين عليه السلام

سار الوهابيون على نهج ابن تيمية في تبني رؤيته وموقفه من الحسين عليه السلام وحركته، واعتمدوا اعتماداً كليّاً على أقواله وكأنّها قرآن منزل من عند الله، وهو ما يكشف لنا إفلاسهم من جهة، ومرضيتهم واعوجاج نفوسهم من جهة أُخرى.

والوهابية كما هو معروف قامت على أساس محاربة إحياء المناسبات والاحتفاء بالأولياء والصالحين، وتحريم شدّ الرحال لزيارة المراقد، ولم تكن تهدف لإصلاح حال الأُمّة والنهوض بها، ولم يكن ابن عبد الوهاب يملك علماً أو طرحاً. فقط ما تسلّح به هو تراث ابن تيمية وسيف محمّد بن سعود.

من هنا لم تكن الوهابية تملك فكراً إصلاحياً، وعقائدها لا تعبّر عن أهل السُنّة ولا عن المسلمين، وهي فرضت مذهبها على المسلمين في جزيرة العرب بقوّة السيف لا بالحكمة والعقل.

ومنذ ذلك الحين وهي تتربّص بالمسلمين وبتراثهم، ولا دور لها في مواجهة أعداء الإسلام، وتسعى دائماً لتزييف الحقائق والطعن في

المخالفين والتعتيم على أهل البيت عليهم السلام.

وكيف بمؤمن ينتمي لهذا الدين يبحث وينقب عمّا يدين به الحسين عليه السلام، وهو بهذه القيمة العالية والمكانة السامية! ويعمل ويحاول جاهداً تبرير مواقف فاسق سفيه كيزيد لا قيمة له ولا مكانة ويدافع عنه؟!

وكما ركّز إمامهم ابن تيمية في الماضي على الحسين عليه السلام وحركته، وعمل على تشويهها، عمل الوهابيون بسُنّته في الحاضر، وتربّصوا بالحسين عليه السلام وأنصاره، وأصدروا العديد من المنشورات التي تعتمد على أقواله ضدّ الحسين وأهل البيت عليهم السلام، ستعرض نماذج منها هنا:

ـ آل رسول الله صلى الله عليه وآله وأولياؤه:

جاء في كتاب (آل رسول الله صلى الله عليه وآله وأولياؤه)، وهو بحث لخصه ورتّبه محمّد بن عبد الرحمن بن قاسم من (منهاج السُنّة النبوية) لابن تيمية..

قال تحت عنوان: (تعصب الرافضة، وحماقاتهم):

«ومن حماقاتهم إقامة المآتم والنياحة على من قتل من سنين عديدة... ومعلوم أنّه قد قتل من الأنبياء وغير الأنبياء ظلماً وعدواناً من هو أفضل من الحسين، وقد قتل أبوه ظلماً وهو أفضل منه، وقتل عثمان ظلماً وكان

قتله أوّل الفتن العظيمة[١].

وما فعل أحد لا من المسلمين ولا غيرهم مأتماً ولا نياحة على ميت ولا قتيل بعد مدّة طويلة من قتله إلاّ هؤلاء الحمقى الذين لو كانوا من الطير لكانوا رخماً، ولو كانوا من البهائم لكانوا حمراً[٢].

والحزن والنوح يوم عاشوراء من اللطم والصراخ والبكا والعطش وإنشاد المراثي وما يفضي إليه ذلك من سب السلف ولعنهم، وإدخال من لا ذنب له مع ذوي الذنوب حتّى يسبّ السابقون الأوّلون وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب..

كان قصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأُمّة، فإنّ هذا ليس واجباً ولا مستحباً باتّفاق المسلمين، بل إحداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة من أعظم ما حرمه الله ورسوله[٣]»[٤].

وما نودّ أن نذكره هنا بداية أنّ هذا الكلام هو كلام ابن تيمية؛ ولكنّه ذكر بطريقة غير مرتّبة..

---

(١) منهاج السُنّة النبوية ج١ ص٥٢.

(٢) منهاج السُنّة النبوية ج١ ص٥٥.

(٣) منهاج السُنّة النبوية ج٤ ص٥٥٤.

(٤) آل رسول الله وأولياؤه لمحمّد العاصمي الحنبلي ص١١٣ ـ ١١٨.

أمّا صور السبّ والشتم فهي من ابتداع الوهابي صاحب الكتاب؛ والسبّ والشتم هي لغة الوهابيين الذين يعدّون من السوقة والعوام وليس بينهم فقيه أو صاحب خلق، وإن نبت بينهم فقيه يكون هشاً ضعيفاً لكونه لم ينبت بالأدوات الطبيعية التي تعتمد على البحث والدرس والتفكّر والخلق، ولكون الوهابية تعد من المذاهب القشرية التي لا تملك طرحاً عميقاً، فهي لا تنبت فقهاء وإنّما تنبت أبواقاً تردّد كلام ابن تيمية..

ومن هنا يمكن القول: أنّ هذا الكاتب وغيره من الوهابيين يمثل الهشاشة والقشرية، وهو يعبر عن معتقده المعادي لإحياء المناسبات وإباحة الزيارات، وهذا المعتقد من صنع أعداء الإسلام، ويهدف لعزل الأُمّة عن أهل البيت عليهم السلام، والعمل على محوهم من ذاكرتها؛ وإحياء مناسبة كربلاء خاصّة تمثل إزعاجاً كبيراً للوهابيين، كما كانت تمثل إزعاجاً لحكام الماضي، وهو ما دفع بهم لحظرها من قديم، ومنع جمهور المسلمين من زيارة قبر الحسين عليه السلام، بل سعى بعضهم لمحو القبر كما فعل المتوكّل العبّاسي.

وهذا الوهابي الجاهل لكونه لا يملك قراءة واعية للتأريخ وحوادثه فاته أنّ جمهور المسلمين الموالين لأهل البيت عليهم السلام كانوا محاصرين من قبل

الحكّام من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ومحظور عليهم ممارسة أية نشاطات تتعلّق بأهل البيت عليهم السلام، وفات عليه أيضاً أنّ لرموز أهل البيت عليهم السلام قيمة ومكانة خاصّة في نفوس المسلمين أوجبتها النصوص، وليس لغيرهم تلك القيمة والمكانة بالطبع.

أمّا ربط إحياء ذكرى الحسين عليه السلام بالنياحة واللطم والصراخ وغيره فهي محاولة لتشويه المناسبة وإيجاد تبرير للحظر، إذ أنّ هذه الأمور هي مجرّد سلوك وممارسات من قبل العامّة لا صلة لها بجوهر القضية.

ـ ما يروى في مصرعه:

وقال تحت عنوان: (ما يروى في مصرعه من الكذب):

«والذين نقلوا مصرع الحسين زادوا أشياء من الكذب، كما زادوا في قتل عثمان، وكما زادوا فيما يراد تعظيمه من الحوادث، وكما زادوا في المغازي والفتوحات وغير ذلك. والمصنّفون في أخبار قتل الحسين منهم من هو من أهل العلم كالبغوي وابن أبي الدنيا وغيرهما، ومع ذلك فيما يروونه أخبار منقطعة وأمور باطلة[1].

وأمّا ما يرويه المصنفون في المصرع بلا إسناد فالكذب فيه كثير، مثل

(١) منهاج السُنّة النبوية ج ٤ ص٥٥٨.

كون الحمرة ظهرت في السماء يوم قتل الحسين ولم تظهر قبل ذلك، فإنّ هذا من الترهات، فما زالت هذه الحمرة تظهر ولها سبب طبيعي من جهة الشمس فهي بمنزلة الشفق، وكذلك قول القائل: إنّه ما رفع حجر في الدنيا إلاّ وجد تحته دم عبيط، هو أيضاً كذب بيّن[١].

وأمّا ما ذكروه من سبي نسائه والدوران بهم في البلدان وحملهم على الجمال بغير أقتاب، فهذا كذب وباطل، لم يسب المسلمون ولله الحمد هاشمية قطّ، ولا استحلّت أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله سبي بني هاشم قطّ، ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيراً[٢].

ولا حمل أحد من نسائهم مكشوف العورة[٣]»[٤].

وهذا الكلام هو لابن تيمية أيضاً، وهو كعادته يتبنّى سياسة النفي والطعن والتكذيب لأي رواية أو نص يراه مخالفاً لمعتقده.

وليس من المعقول أن يكون جميع الرواة وجميع المصادر التي رصدت لنا ما جرى في كربلاء للحسين عليه السلام وأبناء الرسول صلى الله عليه وآله، وما جرى

---

(١) منهاج السُنّة النبوية ج٤ ص٥٦٠.

(٢) منهاج السُنّة النبوية ج٤ ص٥٥٨.

(٣) منهاج السُنّة النبوية ج٨ ص١٠٤.

(٤) آل رسول الله وأولياؤه ص١١٨ ـ ١١٩ .

بعد المذبحة لمن بقى على قيد الحياة منهم أن يكونوا جميعهم متواطئون ضدّ يزيد، وينشرون الأكاذيب من أجل النيل منه، ولا كان كلّ هؤلاء الفقهاء الذين ذكرناهم سابقاً أجمعوا على لعنه، والبعض الآخر منهم كفره..

ولكن الكذاب المتواطئ هو ابن تيمية! وهو قد اعترف أنّ البغوي وابن أبي الدنيا وغيرهما من أهل العلم صنّفوا في قتل الحسين عليه السلام، وهذا يعني أنّ ما صنفوه له قيمته، إلاّ أنّه كعادته شكّك فيه.

ويكفي للردّ على ابن تيمية قول تلميذه ابن كثير الذي ذكرناه سابقاً حيث قال: «وأمّا ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيحٌ، فإنّه قلّ من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا، فلم يخرج منها حتّى أصيب بمرض، وأكثرهم أصابهم الجنون»[1].

(١) البداية والنهاية ج٨ ص٢٢.

ـ من أمر بقتل الحسين عليه السلام:

وقال تحت عنوان: (من أمر بقتل الحسين):

«الذي نقله غير واحد أن يزيد لم يأمر بقتل الحسين، ولا كان له غرض في ذلك، بل كان يختار أن يكرمه ويعظمه كما أمره بذلك معاوية، ولكن كان يختار أن يمنع من الولاية والخروج عليه.

فلمّا قدم الحسين وعلم أنّ أهل العراق يخذلونه ويسلّمونه طلب أن يرجع إلى يزيد، أو يرجع إلى وطنه، أو يذهب إلى الثغر، فمنعوه من ذلك حتّى يستأسر، فقاتلوه حتّى قتل مظلوماً شهيداً(رضي الله عنه).

وأنّ خبر قتله لما بلغ يزيد وأهله ساءهم ذلك، وبكوا على قتله..

وقال يزيد: لعن الله ابن مرجانة ـ يعني عبيد الله بن زياد ـ أما والله لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله، وقال: قد كنت أرضي من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين، وأنّه جهز أهله بأحسن الجهاز وأرسلهم إلى المدينة، لكنّه مع ذلك ما انتصر للحسين، ولا أمر بقتل قاتله، ولا أخذ بثأره[1].

---

(١) منهاج السُنّة النبوية ج ٤ ص٥٥٧ ـ ٥٥٨.

والذي ثبت في الصحيح أنّ الحسين لمّا قتل حمل رأسه إلى قدام عبيد الله بن زياد، وأنّه نكت بالقضيب على ثناياه، وكان بالمجلس أنس بن مالك وأبو برزة الأسلمي، ففي البخاري عن محمّد بن سيرين، عن أنس ابن مالك، قال: أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعل في طست فجعل ينكت، وقال: في حسنه شيئاً. فقال أنس: كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وكان مخضوباً بالوسمة.

وقد روي بإسناد مجهول أنّ هذا كان أمام يزيد، وأنّ الرأس حمل إليه، وأنّه هو الذي نكت على ثناياه، وهذا مع أنّه لم يثبت ففي الحديث ما يدلّ على أنّه كذب، فإنّ الذين حضروا نكته بالقضيب من الصحابة لم يكونوا بالشام وإنّما كانوا بالعراق[1].

وأمّا الحسين فلا ريب أنّه قتل مظلوماً شهيداً كما قتل أشباهه من المظلومين الشهداء، ولم يكن قصده ابتداء أن يقاتل، وقتل الحسين معصية لله ورسوله ممّن قتله، أو أعان على قتله أو رضي بذلك، وهو مصيبة أصيب بها المسلمون من أهله وغير أهله، وهو في حقه شهادة له ورفع درجة وعلوّ منزلة، فإنّه وأخاه سبقت لهما من الله السعادة التي لا

(١) منهاج السُنّة النبوية ج ٤ ص ٥٥٥ ـ ٥٥٦.

تنال إلاّ بشيء من البلاء، ولم يكن لهما من السوابق ما لأهل بيتهما، فإنّهما تربيا في حجر الإسلام في عزّ وأمان، فهذا مات مسموماً وهذا مقتولاً، لينالا بذلك منازل السعداء وعيش الشهداء. وإذا كان ذلك كذلك فالواجب عند المصائب الصبر والاسترجاع[1].

وصار الناس في قتل الحسين رضي الله عنه ثلاثة أصناف...»[2][3]، وذكر كلام ابن تيمية الذي استعرضناه سابقاً.

والدفاع عن يزيد لا مبرّر له، وتردّه الروايات ومواقف الفقهاء، وابن تيمية هنا يبسّط الأمر ويستخّف بالعقول، إذ لو كان الأمر كما صوّر ما كان هناك مبرّر للقتال من الأصل، ويزيد قد جعل على الكوفة عدوّاً حاقداً على أهل البيت عليهم السلام ولا أصل له. وكان من الممكن أن يتسامح العقل مع ابن تيمية ومع نقلة هذه الروايات لو كان على الكوفة شخصية غير ابن زياد.

وكما ذكرت الروايات فإنّ ابن زياد أغلق جميع الأبواب في وجه قادة جيشه وترك لهم باباً واحداً وهو باب القتل والاستباحة.

---

(١) منهاج السُنّة النبوية ج٤ ص٥٥٠ ـ ٥٥١.

(٢) منهاج السُنّة النبوية ج٤ ص٥٥٣.

(٣) آل رسول الله وأولياؤه ص١١٩ ـ ١٢١.

وهل يمكن لابن زياد أن يقدم على قتل الحسين عليه السلام دون أن يكون يزيد قد منحه الإذن بذلك؟!

وقوله: «فلا ريب أنّه قُتل مظلوماً شهيداً».

وقوله: «وقتل الحسين معصية لله ورسوله».

وما ذكره في حقّ الحسن والحسين، بمثابة كلمة حقّ أنطقه بها الله، وهى كلمة تقلب كلّ ما سبق، وتؤكّد مشروعية موقف الحسين عليه السلام وحركته، وأنّه كان على الحقّ ويزيد كان على الباطل، وهو ما يقطع الطريق على أي محاولة لتبرير موقف يزيد والدفاع عنه.

وحديث البخاري السابق جاء في باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، وقد اعتمد أنصار يزيد من الفقهاء والمؤرّخين على هذا الحديث في تبرئة يزيد وتبييض وجهه، وتحميل ابن زياد وحده هذه الجريمة النكراء، والنكت في رأس الحسين عليه السلام؛ وسوف نعرض في الملاحق للعديد من نصوص المؤرّخين التي تناقض حديث البخاري وتكذّب ابن تيمية.

قال العيني (ت٨٥٥هـ) في (عمدة القاري) حول هذا الحديث:

«وعبيد الله بن زياد بن أبي سفيان هو الذي ادّعاه معاوية أخاً لأبيه أبي سفيان، فألحقه بنسبه، وهو الذي يقال له: زياد ابن أبيه، ويقال له: زياد ابن سمية، وهي أُمّة كانت للحارث والد أبي بكرة نفيع.

وقال ابن معين: ويقال لعبيد الله: ابن مرجانة وهي أُمّه، وقال غيره: وكانت مجوسية، وقال البخاري: وكانت مرجانة سبية من أصفهان، وكان زياد من أصحاب عليّ، فلمّا استلحقه معاوية صار من أشدّ الناس بغضاً لعليّ بن أبي طالب وأولاده، وعبيد الله ابنه هو الذي سير الجيش لقتال الحسين، وهو يومئذ أمير الكوفة ليزيد بن معاوية، وكان جيشه ألف فارس ورأسهم الحرّ بن يزيد التميمي، وعلى مقدّمتهم الحصين بن نمير الكوفي، ثمّ جرى ما جرى فآخر الأمر قتل الحسين.

ثمّ حملوا رأس الحسين ورؤوس القتلى من أصحابه إلى عبيد الله بن زياد وهو بالكوفة، وكانت الرؤوس اثنين وسبعين رأساً، حمل خولي بن يزيد رأس الحسين، وحملت كندة ثلاثة عشر رأساً، وهوازن عشرين، وبنو تميم عشرين، وبنو أسد سبعة، ومذحج أحد عشر، وكان مع الرؤوس والسبايا شمر بن ذي الجوشن، وقيس بن الأشعث، وعمرو ابن الحجّاج، وعروة بن قيس، فاقبلوا حتّى قدموا بها على عبيد الله بن زياد.

ثمّ نذكر الآن ما جرى بعد أن قدموا برأس الحسين على هذا اللعين عبيد الله ابن زياد:

قوله: فجعل... أي جعل رأس الحسين في طست.

قوله: فجعل ينكت، أي فجعل عبيد الله بن زياد ينكت، أي يضرب بقضيب على الأرض فيؤثر فيها، وفي رواية الترمذي وابن حبّان من طريق حفصة بنت سيرين عن أنس: فجعل يقول بقضيب له في أنفه، وفي رواية الطبراني من حديث زيد بن أرقم: فجعل يجعل قضيباً في يده في عينيه وأنفه. فقال: أرفع قضيبك فقد رأيت فم رسول الله في موضعه.

وقال سبط ابن الجوزي: أما كان لرسول الله على أنس من الحقوق أن ينكر على ابن زياد فعله ويقبح له ما وقع من قرع ثنايا الحسين بالقضيب، لكن الفحل زيد بن أرقم فإنّه أنكر عليه، روى الطبري عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: شهدت ابن زياد وهو ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة، فلمّا رآه زيد بن أرقم لاهجه عن نكثه بالقضيب، فقال له: أعل بهذا القضيب عن هاتين الشفتين، فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبلهما، ثمّ انفضح الشيخ يبكي، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك فوالله لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، فقام وخرج فسمعت الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله، فقلت: ما الذي قال؟ قال: مرّ بنا وهو يقول: أنتم يا معاشر العرب عبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم،

ويستعبد شراركم، فبعداً لمن رضي بالذلّ والعار.

قلت: فلله درّ زيد بن أرقم الأنصاري الخزرجي من أعيان الصحابة، غزا مع النبيّ سبع عشرة غزوة، وشهد صفّين مع عليّ بن أبي طالب، وكان من خواص أصحابه، ومات بالكوفة سنة ستّ وستّين، وقيل: ثمان وستّين.

ثمّ إنّ الله تعالى جازى هذا الفاسق الظالم عبيد الله بن زياد بأن جعل قتله على يدي إبراهيم بن الأشتر يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجّة سنة ستّ وستّين على أرض يقال لها: الجازر بينها وبين الموصل خمسة فراسخ. وكان المختار بن أبي عبيدة الثقفي أرسله لقتال ابن زياد، ولمّا قتل ابن زياد جيء برأسه وبرؤوس أصحابه وطرحت بين يدي المختار، وجاءت حيّة دقيقة تخلّلت الرؤوس حتّى دخلت في فم ابن مرجانة وهو ابن زياد وخرجت من منخره، ودخلت في منخره وخرجت من فيه، وجعلت تدخل وتخرج من رأسه بين الرؤوس.

ثمّ إنّ المختار بعث برأس ابن زياد ورؤوس الذين قتلوا معه إلى مكّة إلى محمّد بن الحنفية، وقيل: إلى عبد الله بن الزبير فنصبها بمكّة، وأحرق

ابن الأشتر جثة ابن زياد وجثث الباقين...»[1].

وجاء في (فيض الباري) لمحمّد أنور شاه الكشميري:

قوله: «أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين... الخ...

ومن غرائب قدرته تعالى أنّه أتي برأس عبيد الله أيضاً بعيد ذلك في هذا المحل بعينه...

ثمّ إنّ الله تعالى جازى هذا الفاسق الظالم عبيد الله بن زياد بأن جعل قتله على يدي إبرإهيم بن الأشتر يوم السبت، لثمانٍ بقين من ذي الحجة سنة ستّةٍ وستين على أرضٍ يقال لها: الجازد، بينها وبين الموصل خمسة فراسخ..

وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي أرسله لقتال ابن زياد، ولمّا قتل ابن زياد جيء برأسه وبرؤوس أصحابه، وطرحت بين يدي المختار، وجاءت حيةٌ دقيقةٌ تخلّلت الرؤوس حتّى دخلت في فم ابن مرجانة ــ وهو ابن زياد ـ وخرجت من منخره، ودخلت في منخره وخرجت من فيه، وجعلت تدخل وتخرج من رأسه لا بين الرؤوس، وأخرج الترمذي نحوه في مناقب الحسن والحسين...

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج١٦ ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ ح٨٤٧٣.

قال: أوحى الله تعالى إلى محمّدﷺ، أنّي قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وأنّي قاتلٌ بابن ابنتك سبعين ألفاً، وسبعين ألفاً. هذا لفظ حديث الشافعي.

وفي حديث القاضي أبي بكر بن كامل: أنّي قتلت على دم يحيى بن زكريا، وأنّي قاتلٌ على دم ابن ابنتك.

قال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، قال الذهبي في تلخيصه: صحيحٌ على شرط مسلم»[1].

ويكفينا من كلام العيني قوله: «كان مع الرؤوس والسبايا»، وهو اعتراف صريح بسبي أبناء أهل البيت عليهم السلام.

والانتقام الإلهي من قتلة الحسين عليه السلام الذي كشفته لنا رواية الحاكم يدلّ دلالة واضحة على قيمة الحسين عليه السلام ومكانته عند الله، ويدلّ من جانب آخر على عظيم جرم قتلة الحسين عليه السلام الذي اهتزت له السماء، وأنّ قتلته لا قيمة لهم ولا وزن في الدنيا والآخرة، ومصيرهم هو مصير قتلة الأنبياء.

ويدلّ أيضاً على مدى القيمة الشرعية العالية لحركة الحسين عليه السلام،

(١) فيض الباري على صحيح البخاري ج٤ ص٤٩٠ ـ ٤٩٢.

وأنّها امتداد لحركة الأنبياء عليهم السلام.

ـ أصول مذهب الشيعة الإمامية:

جمع ناصر القفاري في كتابه (أصول مذهب الشيعة الإمامية) الجزء الأول العديد من الروايات من شتّى المصادر الشيعية التي تتحدّث عن زيارة قبر الحسين عليه السلام وقيمة هذه الزيارة وعظيم ثوابها.

وقال: «وتذهب رواياتهم إلى المبالغة بالقول بأفضلية زيارة قبر الحسين وقبور سائر الأئمّة على الركن الخامس من أركان الإسلام حجّ بيت الله الحرام، وتصل في ذلك إلى درك من العته والجنون، أو الزندقة والإلحاد لا يكاد يصل إليه أحد في هذا الباب، حتّى ليقول القائل بأنّ هذا دين المشركين لا دين المسلمين الموحّدين، لأنّ هؤلاء يقدّمون لنا ديناً آخر غير ما يعرفه المسلمون...

وتتنافس رواياتهم في المبالغة في الأعداد لتتجاوز المئات إلى مرحلة الآلاف، وتتجاوز ذلك إلى ذكر أصناف من الثواب والأجر، وكأنّ الدين هو مجرّد زيارة قبر، والوقوف على ضريح...

فلو كان شيء من هذا حقّاً لذكره القرآن العظيم في آياته، لماذا يذكر الحجّ في آيات عدّة من القرآن، ولا تذكر زيارة قبر الإمام مطلقاً، وهي أفضل من الحجّ إلى بيت الله الحرام ـ بزعمهم ـ ...

والعجب أنّه ورد عندهم بعض الروايات في تخفيف هذا الغلوّ الـذي يجعل من الشخوص إلى القبر أفضل من حجّ بيت الله الحرام...

ممّا يكشف أنّ هذه الروايات هي ثمرة مؤامرة ضدّ الأُمّة لصرفها عن بيت ربّها، والعمل على إفساد أمرها، وتفريق اجتماعهـا، والحيلولـة دون تلاقيها في هذا المؤتمر السنوي العام...

ـ وقال معلّقاً: ولكن لماذا لم يعمل شيوخهم بهذه الروايـات ويـدَعوا الحجّ؟ الواقع أنّهم لم يفعلوا، لعلّ ذلك لأسباب: منها ليتمكّن هؤلاء من نقل شرّهم لسائر العالم الإسلام عبر هذا المؤتمر العظيم، وخشية التشنيع عليهم من قبل المسلمين فيفقدوا الأرضية الصالحة لنشر دعـوتهم، سـيما أنّهم يرون الفريضة لا بدّ منها، على الرغم من أنّ هذه الروايات لا تجعل في قلب المؤمن بها أي حنين إلى حجّ بيت الله الحرام ـ

وهكـذا تنـسى شرائـع الإسـلام وأوامـره، ويهـتم هـؤلاء بـالقبور والأضرحة ويجعلونها من أفضل الأعمال بلا دليل إلاّ ما صنعته أوهامهم وأوحاه لهم شياطينهم، ليشرّعوا من الدين ما لم يشرعه الله.

وكربلاء قبلة المسلمين، وأقدس مقدّساتهم، وأفضل البقـاع بيـت الله الحرام، مهوى أفئدة المسلمين، الذي لا يـشرع الطـواف إلاّ بـه، والـذي جعله الله مثابة للناس وأمنـاً.. ملتقـى المـسلمين العـام، وقبلـتهم التـي

يتّجهون إليها جميعاً...

لقد اعتبر الشيعة كربلاء وغيرها من أماكن قبور أئمّتهم المزعومة حرماً مقدّساً؛ فالكوفة حرم، وقم حرم، وغيرها...

وإذا كان كلّ هذا الفضل بوجود جسد الحسين، فلماذا لم تفضّل المدينة وفيها جسد رسول الله؟ إنّ هذا تناقض في بنية المذهب، وهو يكشف أنّه ليس الهدف تقديس الحسين، ولكن الكيد للأُمّة ودينها...

ولقد خاب واضع هذه الأساطير وفشل في تحقيق أهدافه، فلم يتّجه المسلمون إلى كربلاء، وظلّت هذه الروايات لا تؤثّر إلاّ بأولئك الذين أصمّهم التعصب عن سماع الحقّ وأعمى قلوبهم، فهاموا في أودية من الضلال...

يقول ابن تيمية في منهاج السُنّة: وقد صنّف شيخهم ابن النعمان المعروف عندهم بالمفيد كتاباً سمّاه مناسك المشاهد...

وقال في مجموع الفتاوى: اتّفق المسلمون على أنّه لا يشرع الطواف إلاّ بالبيت المعمور...

واتّخاذ القبور مساجد ملعون فاعلها على لسان رسول الهدى صلى الله عليه وآله، حيث قال: (لعن الله على اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، وفي الصحيحين أيضاً أنّه ذكر له في مرض موته كنيسة بأرض

الحبشة، وذكر له من حسنها وتصاوير فيها، فقال: (إنّ أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوّروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله)، وقد ثبت أيضاً النهي عن اتّخاذ القبور مساجد في كتب الاثني عشرية نفسها، ولكن شيوخهم يؤولونه...

وهم يعدّون هذا من أفضل القربات، ويوهمون الأتباع بأنّ هذا الشرك يوجب غفران الذنوب ودخول الجنّة، والعتق من النار، وحطّ السيئات، ورفع الدرجات، وإجابة الدعوات، وتوجب طول العمر، وحفظ النفس والمال، وزيادة الرزق، وتنفس الكرب، وقضاء الحوائج...

ولهم تعلّق بكلّ عمل يتصل بالشرك بالله من قريب أو بعيد، حتّى وإن لم يوجد نصّ يعتمدون عليه من كتبهم المليئة بما يغني في باب الشرك وأسبابه...

وكذلك اتّفق المسلمون على أنّه لا يشرع الاستلام والتقبيل إلاّ للركنين اليمانيين، فالحجر الأسود يستلم ويقبل، واليماني يستلم، وقد قيل: إنّه يقبّل، وهو ضعيف...

هذا عدا ما اشتملت عليه كتبهم الأُخرى التي هي في منزلة المصادر الثمانية عندهم، كثواب الأعمال لابن بابويه، وغيره. وهذا غير ما ألف

في المزارات من كتب خاصّة به في الماضي والحاضر، مثل: كامل الزيارات لابن قولويه، ومفاتيح الجنان لعبّاس القمّي، وعمدة الزائر لحيدر الحسيني، وضياء الصالحين للجوهري، وغيرها. وكلّها تتحدّث عن الفضائل المزعومة لمن شدّ الرحل لزيارة أضرحة الأئمّة، وطاف بها، ودعا في رحابها، واستغاث بمن فيها، وتذكر مئات الأدعية التي فيها من الغلوّ في الأئمّة ما يصل بهم إلى مقام الخالق جلّ شأنه، وفيها من الشرك بالله ما الله به عليم..

وكان لاهتمامهم بهذا المعول الهادم لأصل التوحيد أثره في ديار الشيعة، حيث عمّرت بيوت الشرك التي يسمّونها المشاهد، وعطّلت بيوت التوحيد وهي المساجد وبقي هذا الاهتمام إلى اليوم...»[1].

وتظهر لنا لغة الكاتب الحادّة والبعيدة عن العلم المتجاوزة لحدود الأدب! وهى سُنّة الوهابيين الثابتة التي تدلّ على افتقادهم أدوات العلم والبحث فضلاً عن الخلق.

وما ذكره يرد عليه من وجوه:

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ص٤٥٤ ـ ٤٧٧. الباب الثاني/الفصل الأوّل/المبحث الثالث/المسألة الرابعة.

إنّ حال الرواية عند السُنّة هو أسوأ بكثير من حال الرواية عند الشيعة، وإذا كان التراث الشيعي يحوي العديد من الخرافات التي تتعلّق بأئمّة أهل البيت عليهم السلام، فإنّ التراث السُنّي يحوي الكثير من الخرافات التي تتعلّق بالرسول صلى الله عليه وآله والقرآن والصحابة، والفارق الجوهري بين وضع الرواية عند السُنّة والشيعة، هو أنّ الشيعة لا تعد جميع ما يروى عن أهل البيت صلى الله عليه وآله وينسب إليهم هو صحيح وثابت، وأنّ جميع الروايات عندهم تخضع للبحث والمراجعة، وأنّ الحكم على الرواية هو القرآن والعقل. وهذه القواعد لا وجود لها عند أهل السُنّة الذين أعلنوا عن صحّة أحاديثهم وثبوتها في مصادرهم، وعلى رأس هذه المصادر البخاري ومسلم.

من هنا فإنّ هناك العديد من الخرافات حوتها كتب الصحاح عند أهل السُنّة، كالخرافات التي تتعلّق بالأنبياء عليهم السلام الواردة في أبواب الفضائل، والخرافات التي تتعلّق بصفات الله تعالى التي تزدحم بها كتب السُنن، والخرافات التي تتعلّق بالغزوات التي أسموها فتوحات في كتب التأريخ، وغير هذا كثير ممّا جمعناه في كتابنا (دفاع عن الرسول صلى الله عليه وآله ضد الفقهاء والمحدّثين).

وقد اعترف الكاتب أنّ هناك روايات عند الشيعة تناقض الروايات

الخاصّة بالزيارات ووجوبها، حيث قال: «والعجب أنّه ورد عندهم بعض الروايات في تخفيف هذا الغلوّ الذي يجعل من الشخوص إلى القبر أفضل من حجّ بيت الله الحرام».

ويظهر الغلوّ في كلام الكاتب الذي يؤكّد فيه أنّ الشيعة يفضّلون زيارة قبر الحسين عليه السلام وقبور الأئمّة عليهم السلام على الحجّ لبيت الله، بل إنّ زيارتهم أهم من الحجّ، وثوابها أعظم! وملايين الشيعة من قديم وحتّى اليوم يداومون على أداء فريضة الحجّ كلّ عام.

وهو قد طرح سؤالاً هو: إذا كان كلّ هذا الفضل بوجود جسد الحسين عليه السلام، فلماذا لم تفضّل المدينة وفيها جسد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

وأجاب عليه بقوله: إنّ هذا تناقض في بنية المذهب، وهو يكشف أنّه ليس الهدف تقديس الحسين، ولكن الكيد للأُمّة ودينها..

وما كان عليه أن يجيب على سؤال هو طارحه! ولوكان متعمّقاً في تراث الشيعة ومعتقدهم لوجد عشرات الروايات التي تفضّل الرسول وتعلّي قدره، لكنّه مجرّد ناقل ولا صله له بالبحث والدرس، وقد فاته أنّ أهل البيت عليهم السلام رأسهم الرسول صلى الله عليه وآله، وقيمتهم مستمدّة منه. وكما أنّ هناك ملايين الشيعة يتوافدون على البيت الحرام، هناك الملايين يتوافدون على مسجد الرسول صلى الله عليه وآله لزيارة قبره، وأكثر منهم ملايين السُنّة، ولولا

سطوة الوهابيين في دولة آل سعود وإرهابهم للزائرين لاعتكف الشيعة حول مرقد الرسول صلى الله عليه وآله وتركوا المراقد الأُخرى.

ولما كانت عقيدة الوهابيين تخالف معتقد أهل السُنّة، كانت نظرتهم للروايات المنسوبة للرسول صلى الله عليه وآله التي تتعلّق بالقبور وشدّ الرحال إليها تخالف نظرة فقهاء أهل السُنّة، من هنا فإنّ الروايات التي استشهد بها الكاتب مثل رواية: (لعن الله على اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، ورواية: (أولئك شرار الخلق عند الله)، ورواية: (لا تشد الرحال إلاّ لثلاثة مساجد)، وغيرها من الروايات، لم يفهم منها السلف والفقهاء هذا الفهم العدواني المتطرّف الذي فهمه الوهابيون.

ولا نجد بين كتب العقائد عند أهل السُنّة أيّة إشارة لحرمة التوسّل والزيارات والقبور من الأصل، وهى عقائد الفرقة الناجية من النار.

وبالطبع كان من الواجب على الكاتب أن يستشهد بكلام ابن تيمية، فبدونه لا وزن لكلامه ولا تأثير، إلاّ أنّ كلام ابن تيمية ككلام ابن عبد الوهاب لا وزن له عند فقهاء أهل السُنّة!

ـ من قتل الحسين عليه السلام؟

جاء في كتاب (من قتل الحسين) لكاتبه عبد الله بن عبد العزيز:

«أمّا موقف أهل السُنّة من مقتل الحسين فيلخصه ابن تيمية بقوله في

مجموع الفتاوى: وقد أكرمه الله بالشهادة وأهان بذلك من قتله أو أعان على قتله، أو رضي بقتله، وله أسوة حسنة بمن سبقه من الشهداء، فَإِنَّهُ وَأَخُوهُ سيدا شباب الجنّة. وقد كانا قد تربّيا في عزّ الإسلام، لم ينالا من الهجرة والجهاد والصبر والأذى في الله ما ناله أهل بيته، فأكرمهما الله بالشهادة تكميلاً لكرامتهما ورفعاً لدرجاتهما، وقتله مصيبة عظيمة»[1].

وإذا كان ابن تيمية يقرّ بهذه الحقائق:

أنّ الحسين عليه السلام مات شهيداً..

وأنّ الله أهان من قتله، أو أعان على قتله، أو رضى بقتله..

وأنّ له أسوة حسنة بمن سبقه من الشهداء..

وأنّ قتله مصيبة عظيمة..

إذا كان يقرّ بكلّ هذا، فكيف له أن يتبنّى هذه المواقف من الحسين عليه السلام وحركته؟! ألا يدلّ ذلك على أنّ قتلة الحسين عليه السلام لم يكونوا على دين؟!

ولماذا لم ينتبّه الوهابيون لهذا الكلام الذي يضرب كلامه الآخر في الحسين عليه السلام ويناقضه؟!

---

(١) من قتل الحسين(رضي عنه) ص١٣.

وقال تحت عنوان الشعائر الحسينية طقوس لم تكن على عهد الأئمّة: «أخي القارئ إنّ ما يفعله الشيعة في المآتم والحسينيات مثل اللطم والنياحة والتطبير وغيرها لم تكن على عهد الأئمّة باعتراف علماء الشيعة»[1].

وهذا صحيح باعتبار أنّ فترة الأئمّة عليهم السلام كانت فترة إرهاب وتضييق تحول دون ظهور هذه الشعائر وإعلانها، وهذا لا يعني حرمتها أو حظرها من قبل أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وعندما أتيحت الفرصة لشيعة أهل البيت في عصور لاحقة، وفي ظلّ حكومات متسامحة، أو حكومات شيعية، برزت هذه الشعائر.

وهذه الشعائر لا تصطدم بأصول الدين ولا بثوابته، ولا حتّى تصطدم بمذهب أهل السُنّة، وهي في الحقيقة تصطدم بالوهابية والوهابيين وتستفزّهم، والوهابيون ليسوا هم الإسلام..

من هنا فإنّ صدام الوهابيين مع هذه الشعائر ليس له أساس شرعي.

وقد سرد صاحب الكتاب العديد من الأقوال لفقهاء الشيعة وكتّابها حول الشعائر بهدف إثبات بطلانها، وهذه الأقوال في مجملها تتركز حول

(١) من قتل الحسين(رضي عنه) ص٥٤.

تحرّر الشيعة من الضغوط وإعلان شعائرهم في عصر البويهيين والحمدانيين والفاطميين ثمّ الصفويين، وعدّ ذلك دليل على أنّ هذه الشعائر القائمة اليوم لم تكن قائمة في عصر الأئمّة، واستعرض ما أسماه بالمدرسة الإصلاحية التي ترى الابتعاد عنها وتحرّم بعضها هي ضرر النفس بالضرب حتّى الإدماء، واختلاق الأخبار. والمدرسة المحافظة وهي تركّز على أنّ كلّ شيء مباح وإن أدى إلى الأذى، ما دام لا نصّ على حرمته.

ثمّ ذكر أنّ فتاوى كبار علماء الشيعة تجوّز العمل ببدعة النياحة واللطم وغيرها..

وقال: «أخي المسلم أنّ ما يفعله الشيعة في الحسينيات والمآتم تحت مسمّى الشعائر الحسينية، مثل: اللطم والنياحة ولبس السواد والتطبير وغيرها، والتي أفتى علماؤهم وعظماؤهم بجوازها، فإنّها محرمة على لسان الرسول صلى الله عليه وآله، وعلى السُنّة أئمّة أهل البيت الكرام في المصادر الشيعية القديمة والحديثة. واعترف بهذا التحريم شيوخ وأعلام المذهب الشيعي الاثنى عشري»[1].

(١) من قتل الحسين(رضي عنه) ص٧٣.

وهو هنا قد خلط بين التطبير واللطم والنياح وبين الشعائر، فإنّ الشعائر شيء وهذه الممارسات شيء آخر.

والشعائر لا ترتبط بالشيعة فقط، بل ترتبط بالسُنّة أيضاً، فالعديد من بلاد السُنّة تحيي مناسبات أهل البيت عليهم السلام كمصر والسودان والمغرب، وجميع المسلمين يحيون ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وآله. والوهابيون يحاربون المناسبات على وجه العموم، في محيط السُنّة، وفي محيط الشيعة.

قال صاحب كتاب: (منار القاري مختصر صحيح البخاري) في شرح حديث أبي هريرة: (هلاك أُمّتي علي يدي غلمة من قريش، إن شئت أن أسميهم بني فلانٍ وبني فلانٍ): «معنى الحديث: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يحدّثنا عن فتية من شباب قريش يتولّون أمر هذه الأُمّة، ويصلون إلى الملك والسلطان عنوة واقتداراً، فيظلمون ويتجبّرون، ويحاربون أصحاب رسول الله ويسفكون دماءهم، ويهلكون الكثير منهم في حروبهم الدامية.

وقد روى أبو هريرة هذا الحديث على مسمعٍ من مروان بن الحكم، فقال مروان ـ وكأنّه لم يفهم ما عناه النبيّ ـ بحديثه هذا: (غلمة). قال الكرماني: فعجب مروان من وقوع ذلك من غلمةٍ.. فقال أبو هريرة: إن شئت أن أسمّيهم بني فلان وبني فلان، أي: إن أردت أن أذكر لك

أسماءهم الصريحة وأسماء آبائهم، فعلت.

فقه الحديث: دلّ هذا الحديث على ما يلي:

أوّلاً: إخباره صلى الله عليه وآله عن هلاك كثير من الصحابة وآل بيته الأطهار، في المعارك الدامية التي قام بها ضدهم الملوك الجبابرة من شباب قريش، وعلى رأسهم يزيد بن معاوية الذي وقعت في عصره وقعة الحرّة واستباحة المدينة.

ثانياً: أنّ إخباره صلى الله عليه وآله عن هذه المآسي الدامية من علامات نبوّته...»[1].

وقال صاحب كتاب: (الدرر السنية في الأجوبة النجدية) في شرح حديث: (بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً...): «الأحاديث التي وردت في غربة الدين، وحدوث البدع وظهورها، لا تختص بمكّة والمدينة، ولا غيرهما من البلاد، والغالب أنّ كلّ بلد لا تخلو من بقايا متمسكين بالسُنّة، فلا معنى لقوله، وإن كان قد ورد في حق أهل الحرمين، في أواخر عهد الصحابة، بل في وقت الخلفاء الراشدين، ما هو معروف عند أهل العلم، مشهور في السير والتاريخ.

---

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمّد قاسم ج٤ ص٢٤٧ ــ ٢٤٨.

وأوّل ذلك: مقتل عثمان بن عفّان، ثمّ وقعة الحرّة المشهورة، ومقتل ابن الزبير في مكّة، وما جرى في خلال ذلك من الفتن، وصار الغلبة في الحرمين وغيرها لأهل الأهواء، فإذا كان هذا وقع في خير القرون، فما ظنّك فيما بعد، حين اشتدت غربة»[1].

ويلاحظ أنّ الشارح يتحدّث بلغة حذرة عائمة حتّى لا يقع في الحرج ويمس ثوابته العقدية في الصحابة، وفي يزيد.. وهو لم يشر إلى وقعة صفّين، أو وقعة كربلاء، أو الحسين!!

إلاّ أنّ في كلامه ما يدين بنو أُميّة، وإدانة بني أُميّة تعني إدانة معاوية.

وهو هنا وقع في المحظور دون أن يدري.

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لعلماء نجد ج١١ ص١٧٦ ـ ١٧٧.

استشهاد الحسين عليه السلام

في فصل من كتاب (الدولة الأموية) لعلي محمّد الصلابي، تحدّث فيه عن الأسباب التي أدّت إلى خروج الحسين عليه السلام والفتوى التي بنى عليها خروجه، قال:

«كان موقف الحسين من بيعة يزيد بن معاوية هو موقف المعارض، وشاركه في المعارضة عبد الله بن الزبير والسبب في ذلك حرصهما على مبدأ الشورى وأن يتولّى الأُمّة أصلحها، وتلك الممانعة الشديدة من قبل الحسين وابن الزبير، قد عبّرت عن نفسها بشكل عملي فيما بعد، فالحسين كما مرّ معنا، كان معارضاً للصلح، والذي حمله على قبوله هو متابعة أخيه الحسن بن عليّ، ثمّ أنّ الحسين بن عليّ استمر على صلاته بأهل الكوفة، وقد كان يعدهم بالمعارضة، ولكن بعد وفاة معاوية، والدليل على ذلك أنّه بمجرّد وفاة معاوية سارع زعماء الكوفة بالكتابة إلى الحسين، وطلبوا منه المسير إليهم على وجه السرعة.

ومن الأسباب التي أدّت إلى خروج الحسين:

١ـ هو إرادة الله عزّ وجلّ وأنّ ما قدره سيكون وإن أجمع الناس كلّهم

على ردّه فسينفذه الله، لا راد لحكمه ولا لقضائه سبحانه وتعالى.

٢ـ قلب الحكم من الشورى إلى الملك الوراثي.

ومن الأسباب ما كان من عدم التزام معاوية بشروط الحسن في الصلح والتي من ضمنها أن يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين.

ورأى الحسين في محاولة معاوية توريث الحكم من بعده لابنه يزيد مخالفة واضحة لمنهج الإسلام في الحكم، ومع ذلك فإنّه لم يهتم بالخروج على معاوية، نظراً لمبايعته له بالخلافة، فظلّ على عهده والتزامه، ولكن بعد وفاة معاوية تغيّر الموقف، فالحسين لم يعد في عنقه بيعة توجب عليه السمع والطاعة، ويدلّ على ذلك محاولة والي المدينة الوليد بن عتبة أخذ البيعة من الحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير وخروجهما بعد ذلك إلى مكّة دون أن يأخذ بيعتهما.

إن موقف الحسين وفتواه ضدّ الحكم الأموي مرّت بمرحلتين:

الأولى: مرحلة عدم البيعة ليزيد، وذهابه إلى مكّة، وهذه المرحلة أسّس فيها الحسين موقفه السياسي من حكم يزيد، بناء على نظرته الشرعية لحكم بني أُميّة، فهو يرى عدم جواز البيعة ليزيد، وذلك لسببين:

فعلى الصعيد الشخصي: فإنّ يزيد لا يصلح خليفة للمسلمين نظراً

لانعدام توفّر شرط العدالة فيه، كما أنّ الحسين أفضل وأحقّ منه بمنصب الخلافة، فهو أكثر منه علماً، وصلاحاً وكفاءة، وأكثر قبولاً لدى الناس من يزيد.

أما الصعيد السياسي: فلانعدام شرط الشورى، والاستئثار بالسلطة للحكم الأموي، والذي يخالف المنهج الإسلامي في الحكم.

ولم يغب عن الحسين رضي الله عنه قول النبيّ صلى الله عليه وآله: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)، ولكن فهمه لهذا الحديث أنّه في حقّ من كان صالحاً للخلافة وأهلاً لها، وكان عن شورى المسلمين.

وعدم مبايعة الحسين ليزيد كانت تعني عدم إعطاء الشرعية للحكم الأموي، وهو أمر كان الأمويين يحرصون عليه أشدّ الحرص، وقد كتب يزيد إلى واليه في المدينة بأخذ البيعة من الحسين وابن عمر وابن الزبير، وأن يأخذهم بالشدّة حتّى يبايعوا.

وفي نفس الوقت فإنّ عدم البيعة يسهل له حرية العمل السياسي واتّخاذ القرار الذي يراه مناسباً لمقاومة الحكم الأموي.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة العمل على مقاومة الحكم الأموي وطرح نفسه بديلاً للسلطة الأموية في دمشق، وهو ما يعبّر عنها الفقهاء بالخروج على الإمام.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الحسين قد مكث في مكّة بضعة أشهر قبل خروجه إلى العراق، فقد قدم إلى مكّة في الثالث من شعبان سنة ٦٠هـ للهجرة، وخرج إلى العراق في الثامن من ذي الحجة من نفس السنة، وفي هذه الفترة كان الحسين يراسل أهل العراق، وتقدم إليه الوفود، حتّى رأى أنّه لا بدّ من مقاومة الظلم وإزالة المنكر، وأنّ هذا أمر واجب عليه. وكانت شيعته بالعراق على اتصال به وتمت بينهم مراسلات، وقد وصل الحسين بن عليّ إلى قناعة راسخة وبنى قراره السياسي على فتوى اقتنع بها في مقاومته للحكم الأموي، فهو يرى أنّ بني أُميّة لم يلتزموا حدود الله في الحكم، وخالفوا منهج رسول الله صلى الله عليه وآله والخلفاء الراشدين. وبنى الحسين فتواه بتسلسل منطقي شرعي، فاستبداد بني أُميّة، والشكّ في كفاءة وعدالة يزيد توجب عدم البيعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على علماء الأُمّة، ومن أكبر المنكر حكم بني أُميّة واستبدادهم. وبما أنّ الحسين ليس في عنقه بيعة، وهو أحد علماء الأُمّة وسادتها، فهو أحقّ الناس بتغيير هذا المنكر.

وعلى ذلك فليس موقفه خروجاً على الإمام، بل هو تغيير المنكر، ومقاومة للباطل، وإعادة الحكم إلى مساره الإسلامي الصحيح.

وممّا يدلّ على حرص الحسين على أن تكون فتواه وتحركاته السياسية

في مقاومته للحكم الأموي متماشية مع تعاليم الإسلام وقواعده، امتناعه عن البقاء في مكّة عندما عزم على مقاومة يزيد، حتّى لا تستحل حرمتها وتكون مسرحاً للقتال وسفك الدماء، فيقول لابن عبّاس: (لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحبّ إليَّ من أن أقتل بمكّة وتستحلّ بي).

ثالثاً: عزم الحسين على الخروج إلى الكوفة رغم نصائح الصحابة والتابعين ورأيهم في خروج الحسين إلى الكوفة. ويفهم من كلام ابن عبّاس بأنّه لا يخالف الحسين في خروجه على يزيد من الناحية الشرعية، ولكن كان يخالفه من الناحية الاستراتيجية، فكان يرى ألاّ يخرج الحسين للعراق حتّى يتأكّد من قوّة شيعته وأنصاره هناك، وأنّ الأمويين لم يعد لهم نفوذ، وإلاّ فإنّ اليمن بعيدة عن النفوذ الأموي وله فيها أنصار، وبها أماكن كثيرة للتخفّي، حتّى يتمكّن من جمع القوى الكافية لمقاومة الأمويين...»[1].

ويظهر لنا من كلام الصلابي أنّه يوجه النقد لمعاوية، وأنّه نقض اتّفاقه مع الحسن عليه السلام، والتي عدّها مخالفة واضحة لمنهج الإسلام في الحكم حسب تعبيره، دفع بالحسين عليه السلام إلى الإعداد للثورة من قبل وفاة

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ج١ ص٤٥٧ ـ ٤٦٢.

معاوية.

أما قوله: أنّ الحسين عليه السلام لم يهتم بالخروج على معاوية، نظراً لمبايعته له بالخلافة، فيتناقض مع قوله: أنّ الحسين عليه السلام استمر على صلاته بأهل الكوفة، وقد كان يعدهم بالمعارضة، ولكن بعد وفاة معاوية!

وكان الحسين عليه السلام ملتزماً باتفاق الصلح بين الحسن عليه السلام ومعاوية.

ولم يكن الحسين عليه السلام ينتظر وفاة معاوية، وهو كما ذكر كان معارضاً للصلح، فهذا من أمور الغيب التي لا يجوز أن يبنى على أساسها حكم.

إلاّ ما يمكن قوله هنا: أنّ توجيه النقد لمعاوية من وهابي يعد طفرة تصطدم بمعتقده..

وانقلاب معاوية على الحسين عليه السلام والسعي لتوريث الحكم لولده عجّل بالحسين عليه السلام للتحرّك.

وكان أن توفى معاوية ووقع الصدام مع يزيد.

والحسين عليه السلام لم يؤسس موقفه السياسي عند مجيء يزيد كما أشار، وإنّما كان يملك الموقف والنظرية من قبل معاوية، وهو ما ورثه من الإمام علي عليه السلام.

وقد اعترف الكاتب بشرعية حركة الحسين عليه السلام وسلامة فتواه التي بناها على أساس استبداد بني أُميّة وعدم كفاءة يزيد، ووجوب الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنّ من أكبر المنكر حكم بني أُميّة واستبدادهم، فهو أحقّ الناس بتغيير هذا المنكر حسب تعبيره. وهو هنا أقرّ بشرعية حركة الحسين عليه السلام، ونفى عنها صفة الخروج، وقال بالنص: على ذلك فليس موقفه خروجاً على الإمام، بل هو تغيير المنكر، ومقاومة للباطل، وإعادة الحكم إلى مساره الإسلامي الصحيح.

وهذا الكلام ينقض موقف الفقهاء، الذين اعتبروا الحسين عليه السلام من الخارجين على الجماعة الشاقين لصفّ الأُمّة، وينقض أيضاً موقف إمامه ابن تيمية الذي هاجم الحسين عليه السلام واعتبر حركته مفسدة ولم تحقّق شيئاً.

وهذه تعد الطفرة الثانية من طفرات هذا الوهابي!

وما ذكره بعد ذلك زاد الطين بلة، وهو ما قاله عن حرص الحسين عليه السلام على أن تكون فتواه وتحركاته السياسية في مقاومته للحكم الأموي متماشية مع تعاليم الإسلام وقواعده، وامتناعه عن البقاء في مكّة عندما عزم على مقاومة يزيد، حتّى لا تستحلّ حرمتها وتكون مسرحاً للقتال وسفك الدماء.

وهو إشارة أُخرى لشرعية حركة الحسين عليه السلام وانعدام هذه الشرعية عن بني أُميّة الذين لا يعتدون بالمقدّسات وينتهكون الحرمات، وبالتالي هم لا يمثلون الإسلام. وإشارته لموقف ابن عبّاس من الحسين عليه السلام،

وكونه كان لا يخالف الحسين عليه السلام في خروجه على يزيد من الناحية الشرعية، يعني زيادة التأكيد على شرعية حركة الحسين عليه السلام، وأن نصحه له ـ إن صحّ ـ لم يكن صورة من صور المعارضة لخروجه كما صورت الروايات.

وهو ما يعد نقداً غير مباشر لهذه الروايات!

ابن تيمية والحسين عليه السلام

استعرضنا فيما سبق العديد من أقوال ابن تيمية التي تتعلّق بالحسين عليه السلام ضمن فصول الكتاب، ومن باب إتمام الفائدة رأينا عرض أقواله مجملة، وذلك من خلال مجموع فتاويه، وفي معرض الإجابة عن سؤال وجه إليه عن الإمام علي والحسين عليهما السلام، وقد اقتصرنا في إجابته على الجزء الخاص بالإمام الحسين عليه السلام:

سئل ابن تيمية: هل صحّ عند أحدٍ من أهل العلم والحديث، أو من يقتدى به في دين الإسلام أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ قال: إذا أنا مت فأركبوني فوق ناقتي وسيبوني فأينما بركت ادفنوني، فسارت ولم يعلم أحدٌ قبره.

فهل صحّ ذلك أم لا؟

وهل عرف أحدٌ من أهل العلم أين دفن أم لا؟

وما كان سبب قتله؟

وفي أي وقت كان؟

ومن قتله؟

ومن قتل الحسين؟

وما كان سبب قتله؟

وهل صحّ أنّ أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله سبوا، وأنّهم أُركبوا على الإبل عراةً، ولم يكن عليهم ما يسترهم، فخلق الله تعالى للإبل التي كانوا عليها سنامين استتروا بها؟

وأنّ الحسين لمّا قطع رأسه داروا به في جميع البلاد، وأنّه حمل إلى دمشق وحمل إلى مصر ودفن بها؟

وأنّ يزيد بن معاوية هو الذي فعل هذا بأهل البيت، فهل صح ذلك أم لا؟

وهل قائل هذه المقالات مبتدعٌ بها في دين الله؟ وما الذي يجب عليه إذا تحدّث بهذا بين الناس؟

وهل إذا أنكر هذا عليه منكرٌ هل يسمّى آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر أم لا؟

أفتونا مأجورين وبيّنوا لنا بياناً شافياً.

الجواب:

أمّا السؤال عن سبي أهل البيت وإركابهم الإبل حتّى نبت لها سنامان وهي البخاتي ليستتروا بذلك، فهذا من أقبح الكذب وأبينه؛ وهو ممّا

افتراه الزنادقة والمنافقون الذين مقصودهم الطعن في الإسلام وأهله من أهل البيت، وغيرهم.

فإنّ من سمع مثل هذا وشهرته وما فيه من الكذب قد يظنّ أو يقول: إنّ المنقول إلينا من معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء هو من هذا الجنس..

ثمّ إذا تبيّن أنّ الأُمّة سبت أهل بيت نبيّها، كان فيها من الطعن في خير أُمّةٍ أخرجت للناس ما لا يعلمه إلاّ الله، إذ كلّ عاقلٍ يعلم أنّ الإبل البخاتي كانت مخلوقةً موجودةً قبل أن يبعث الله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وقبل وجود أهل البيت كوجود غيرها من الإبل والغنم والبقر والخيل والبغال والمعز، وإنّما هذا الكذب نظير كذبهم بأنّ عليّاً نصب يده بخيبر فوطئته البغلة، فقال لها: قطع الله نسلك، فإنّ كلّ عاقلٍ يعلم أنّ البغلة لم يكن لها نسلٌ قطّ، هذا مع أنّهم لم يكن معهم بخيبر بغلةٌ، بل لم يكن للمسلمين بغالٌ، وأوّل بغلةٍ صارت لهم التي أهداها المقوقس ــ صاحب مصر ــ للنبيّ حتّى مات وهي عنده.

وفي صحيح مسلمٍ عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: صنفان من أهل النار من أُمّتي لم أرهما بعد: نساءٌ كاسياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ على رؤوسهنّ مثل أسنمة البخت لا يدخلن الجنّة ولا يجدن ريحها، ورجالٌ

معهم سياطٌ مثل أذناب البقر يضربون بها عباد الله. فالنبيّ شبه أصحاب العصائب الكبار التي ستكون بعد موته بأسنمة البخاتي، فلولا أنّهم كانوا يعرفونها لم يفهموا، وهذه العصائب قد ظهرت بعده بمدّة طويلةٍ في هذا الزمان ونحوه. ثمّ إنّ البخاتي لا يستتر راكبها إذا كان عارياً، ولو شاء الله أن يستتر من عري ـ بغير حقّ ـ لستره بما يصلح له كما ستر إبراهيم الخليل لما جرّد وألقي في المنجنيق.

وممّا يبيّن ظهور الكذب في هذا: أنّ المسلمين ما زالوا يسبّون الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، ومع هذا فما علم أنّهم قط كانوا يرحلون النساء مجرّداتٍ باديةً أبدانهن، بل غاية ما يظهر من المرأة المسبية وجهها أو يداها أو قدمها، ولم يعلم في الإسلام أنّ أهل البيت سبى أحدٌ منهم أحدٌ من المسلمين في وقتٍ من الأوقات، مع العلم بأنّهم من أهل البيت، اللّهمّ إلاّ أن يقع في أثناء ما تسبيه المسلمون من لا يعلم أنّه من أهل البيت، كامرأةٍ سباها العدو ثمّ استنقذها المسلمون، وإذا تبيّن أنّها كانت حرّة الأصل أرسلوها، وإن كان في ضمن ذلك من لا يعرف من يخفي نسبها، ويستحلّ منها ما حرم الله من هو زنديقٌ منافقٌ، فالله أعلم بحقيقة ذلك، لكن لم يكن شيءٌ من ذلك علانيةً في الإسلام قطّ.

وهذا ممّا يقوله هؤلاء: الجهال أنّ الحجاج بن يوسف قتل الأشراف

وأراد قطع دابرهم، وهذا من الجهل بأحوال الناس، فإنّ الحجاج مع كونه مبيراً سفاكاً للدماء، قتل خلقاً كثيراً لم يقتل من أشراف بني هاشمٍ أحداً قطّ، بل سلطانه عبد الملك بن مروان نهاه عن التعرّض لبني هاشمٍ وهم الأشراف، وذكر أنّه أتى إلى الحرب لمّا تعرضوا لهم يعني لمّا قتل الحسين، ولا يعلم في خلافة عبد الملك والحجاج نائبه على العراق أنّه قتل أحداً من بني هاشمٍ.

والذي يذكر لنا السبي أكثر ما يذكر مقتل الحسين وحمل أهله إلى يزيد، لكنّهم جهالٌ بحقيقة ما جرى، حتّى يظنّ الظان منهم أنّ أهله حملوا إلى مصر، وأنّهم قتلوا بمصر، وأنّهم كانوا خلقاً كثيراً حتّى إنّ منهم من إذا رأى موتى عليهم آثار القتل، قال: هؤلاء من السبي الذين قتلوا، وهذا كلّه جهلٌ وكذبٌ.

والحسين ـ رضي الله عنه ولعن من قتله ورضي بقتله ـ قتل يوم عاشوراء عام واحدٍ وستّين، وكان الذي حضّ على قتله الشمر بن ذي الجوشن، صار يكتب في ذلك إلى نائب السلطان على العراق عبيد الله بن زيادٍ، وعبيد الله هذا أمر ـ بمقاتلة الحسين ـ نائبه عمر بن سعد بن أبي وقاصٍ بعد أن طلب الحسين منهم ما طلبه آحاد المسلمين لم يجئ معه مقاتلةٌ، فطلب منهم أن يدعوه إلى أن يرجع إلى المدينة، أو يرسلوه إلى

يزيد ابن عمّه، أو يذهب إلى الثغر يقاتل الكفار، فامتنعوا إلاّ أن يستأسر لهم أو يقاتلوه، فقاتلوه حتّى قتلوه، وطائفةً من أهل بيته وغيرهم، ثمّ حملوا ثقله وأهله إلى يزيد بن معاوية إلى دمشق، ولم يكن يزيد أمرهم بقتله، ولا ظهر منه سرورٌ بذلك ورضى به، بل قال كلاماً فيه ذمّ لهم، حيث نقل عنه أنّه قال: لقد كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين، وقال: لعن الله ابن مرجانة ـ يعني عبيد الله بن زيادٍ ـ والله لو كان بينه وبين الحسين رحمٌ لما قتله ـ يريد بذلك الطعن في استلحاقه، حيث كان أبوه زيادٌ استلحق حتّى كان ينتسب إلى أبي سفيان صخر بن حربٍ ـ وبنو أُميّة وبنو هاشمٍ كلاهما بنو عبد منافٍ.

وروي أنّه لمّا قدم على يزيد ثقل الحسين وأهله ظهر في داره البكاء والصراخ لذلك، وأنّه أكرم أهله وأنزلهم منزلاً حسناً، وخيّر ابنه عليّاً بين أن يقيم عنده وبين أن يذهب إلى المدينة، فاختار المدينة. والمكان الذي يقال له سجن عليّ بن الحسين بجامع دمشق باطلٌ لا أصل له.

لكنّه مع هذا لم يقم حدّ الله على من قتل الحسين، ولا انتصر له، بل قتل أعوانه لإقامة ملكه، وقد نقل عنه أنّه تمثل في قتل الحسين بأبيات تقتضي من قائلها الكفر الصريح، كقوله:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت تلك الرءوس إلى ربّي جيروني

نعق الغراب فقلت نح أو لا تنح فلقد قضيت من النبيّ ديوني

وهذا الشعر كفرٌ.

ولا ريب أن يزيد تفاوت الناس فيه: فطائفةٌ تجعله كافراً، بل تجعله هو وأباه كافرين، بل يكفرون مع ذلك أبا بكرٍ وعمر، ويكفرون عثمان، وجمهور المهاجرين والأنصار، وهؤلاء الرافضة من أجهل خلق الله وأضلّهم وأعظمهم كذباً على الله عزّ وجلّ ورسوله والصحابة والقرابة، وغيرهم. فكذبهم على يزيد مثل كذبهم على أبي بكرٍ وعمر وعثمان، بل كذبهم على يزيد أهون بكثير.

وطائفةٌ تجعله من أئمّة الهدى وخلفاء العدل وصالح المؤمنين، وقد يجعله بعضهم من الصحابة وبعضهم يجعله نبيّاً، وهذا أيضاً من أبين الجهل والضلال، وأقبح الكذب والمحال، بل كان ملكاً من ملوك المسلمين له حسناتٌ وسيئاتٌ، والقول فيه كالقول في أمثاله من الملوك.

وأمّا الحسين فقتل بكربلاء قريبٌ من الفرات، ودفن جسده حيث قتل، وحمل رأسه إلى قدّام عبيد الله بن زيادٍ بالكوفة، هذا الذي رواه البخاري في صحيحه وغيره من الأئمّة.

وأمّا حمله إلى الشام إلى يزيد: فقد روي ذلك من وجوهٍ منقطعةٍ لم يثبت شيءٌ منها، بل في الروايات ما يدلّ على أنّها من الكذب المختلق،

فإنّه يذكر فيها أنّ يزيد جعل ينكت بالقضيب على ثناياه، وأنّ بعض الصحابة الذين حضروه ـ كأنس بن مالكٍ وأبي برزة ـ أنكر ذلك، وهذا تلبيسٌ، فإنّ الذي جعل ينكت بالقضيب إنّما كان عبيد الله بن زيادٍ، هكذا في الصحيح والمساند، وإنّما جعلوا مكان عبيد الله بن زيادٍ يزيد، وعبيد الله لا ريب أنّه أمر بقتله وحمل الرأس إلى بين يديه، ثمّ إنّ ابن زيادٍ قتل بعد ذلك لأجل ذلك.

وممّا يوضح ذلك: أنّ الصحابة المذكورين كأنس وأبي برزة لم يكونوا بالشام، وإنّما كانوا بالعراق حينئذٍ، وإنّما الكذّابون جهالٌ بما يستدلّ به على كذبهم.

وأمّا حمله إلى مصر فباطلٌ باتّفاق الناس، وقد اتّفق العلماء كلّهم على أنّ هذا المشهد الذي بقاهرة مصر الذي يقال له مشهد الحسين باطلٌ ليس فيه رأس الحسين ولا شيءٌ منه، وإنّما أحدث في أواخر دولة بني عبيد الله ابن القداح الذين كانوا ملوكاً بالديار المصرية مائتي عامٍ إلى أن انقرضت دولتهم في أيام نور الدين محمودٍ، وكانوا يقولون: إنّهم من أولاد فاطمة، ويدّعون الشرف، وأهل العلم بالنسب يقولون: ليس لهم نسبٌ صحيحٌ، ويقال: إنّ جدّهم كان ربيب الشريف الحسيني، فادعوا الشرف لذلك، فأحدث هذا المشهد في المائة الخامسة، نقلٌ من عسقلان، وعقيب ذلك

بقليل انقرضت دولة الذين ابتدعوه بموت العاضد آخر ملوكهم.

والذي رجّحه أهل العلم في موضع رأس الحسين بن عليّ، هو ما ذكره الزبير بن بكار في كتاب أنساب قريشٍ، والزبير بن بكار هو من أعلم الناس وأوثقهم في مثل هذا، ذكر أنّ الرأس حمل إلى المدينة النبوية ودفن هناك، وهذا مناسبٌ، فإنّ هناك قبر أخيه الحسن، وعمّ أبيه العبّاس، وابنه عليّ، وأمثالهم.

قال أبو الخطّاب بن دحية ـ الذي كان يقال له: ذو النسبين بين دحية والحسين ـ في كتاب العلم المشهور في فضل الأيام والشهور لمّا ذكر ما ذكره الزبير بن بكار عن محمّد بن الحسن: أنّه قدم برأس الحسين وبنو أُميّة مجتمعون عند عمرو بن سعيدٍ، فسمعوا الصياح، فقالوا: ما هذا؟ فقيل: نساء بني هاشمٍ يبكين حين رأين رأس الحسين بن عليّ، قال: وأتى برأس الحسين بن عليّ فدخل به على عمرٍو، فقال: والله لوددت أنّ أمير المؤمنين لم يبعث به إليَّ، قال ابن دحية: فهذا الأثر يدلّ أنّ الرأس حمل إلى المدينة ولم يصح فيه سواه، والزبير أعلم أهل النسب وأفضل العلماء بهذا السبب.

قال: وما ذكر من أنّه في عسقلان في مشهدٍ هناك، فشيءٌ باطلٌ لا يقبله من معه أدنى مسكةٍ من العقل والإدراك، فإنّ بني أُميّة ـ مع ما أظهروه

من القتل والعداوة والأحقاد ـ لا يتصوّر أن يبنوا على الرأس مشهداً للزيارة.

هذا، وأمّا ما افتعله بنو عبيدٍ في أيام إدبارهم وحلول بوارهم وتعجيل دمارهم؛ في أيام الملقّب بالقاسم عيسى بن الظافر، فافتعل في أيّامه بناء المشهد المحدث بالقاهرة ودخول الرأس مع المشهدي العسقلاني أمام الناس ليتوطّن في قلوب العامّة، ما أورد من الأمور الظاهرة، وذلك شيءٌ افتعل قصداً أو نصب غرضاً، وقضوا ما في نفوسهم لاستجلاب العامّة عرضاً، والذي بناه طلائع بن رزيك الرافضي.

وقد ذكره جميع من ألّف في مقتل الحسين أنّ الرأس المكرّم ما غرب قطّ، وهذا الذي ذكره أبو الخطّاب بن دحية في أمر هذا المشهد وأنّه مكذوبٌ مفترًى، هو أمرٌ متّفقٌ عليه عند أهل العلم.

والكلام في هذا الباب وأشباهه متسعٌ، فإنّه بسبب مقتل عثمان ومقتل الحسين وأمثالهما جرت فتنٌ كثيرةٌ، وأكاذيب وأهواءٌ، ووقع فيها طوائف من المتقدّمين والمتأخّرين، وكذب على أمير المؤمنين عثمان وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ أنواعٌ من الأكاذيب يكذّب بعضها شيعتهم ونحوهم، ويكذّب بعضها مبغضوهم، لا سيما بعد مقتل عثمان، فإنّه عظم الكذب

والأهواء، وقيل في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ مقالاتٍ من الجانبين، عليّ بريءٌ منها.

وصارت البدع والأهواء والكذب تزداد، حتّى حدث أمورٌ يطول شرحها، مثل ما ابتدعه كثيرٌ من المتأخّرين يوم عاشوراء، فقومٌ يجعلونه مأتماً يظهرون فيه النياحة والجزع وتعذيب النفوس وظلم البهائم وسبّ من مات من أولياء الله والكذب على أهل البيت، وغير ذلك من المنكرات المنهي عنها بكتاب الله وسُنّة رسوله صلى الله عليه وآله واتّفاق المسلمين.

والحسين أكرمه الله تعالى بالشهادة في هذا اليوم، وأهان بذلك من قتله، أو أعان على قتله، أو رضي بقتله، وله أسوةٌ حسنةٌ بمن سبقه من الشهداء، فإنّه وأخوه سيّدا شباب أهل الجنّة، وكانا قد تربّيا في عزّ الإسلام، لم ينالا من الهجرة والجهاد والصبر على الأذى في الله ما ناله أهل بيته، فأكرمهما الله تعالى بالشهادة تكميلاً لكرامتهما ورفعاً لدرجاتهما، وقتله مصيبةٌ عظيمةٌ.

والله سبحانه قد شرع الاسترجاع عند المصيبة بقوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ**

الْمُهْتَدُونَ﴾[1]، وفي الصحيحين عن النبيّ صلى الله عليه وآله، أنّه قال: ما من مسلمٍ يصاب بمصيبةٍ فيقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللّهمّ أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلاّ آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها.

ومن أحسن ما يذكر هنا: أنّه قد روى الإمام أحمد وابن ماجه عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها الحسين، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من مسلمٍ يصاب بمصيبةٍ فيذكر مصيبته وإن قدمت فيحدث عندها استرجاعاً كتب الله له مثلها يوم أصيب. هذا حديثٌ رواه عن الحسين ابنته فاطمة التي شهدت مصرعه.

وقد علم أنّ المصيبة بالحسين تذكر مع تقادم العهد، فكان في محاسن الإسلام أن بلغ هو هذه السُنّة عن النبيّ، وهو أنّه كلّما ذكرت هذه المصيبة يسترجع لها، فيكون للإنسان من الأجر مثل الأجر يوم أصيب بها المسلمون، وأمّا من فعل مع تقادم العهد بها ما نهى عنه النبيّ عند حدثان العهد بالمصيبة فعقوبته أشدّ، مثل لطم الخدود، وشقّ الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية.

ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعودٍ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ليس

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٥ ـ ١٥٧.

منّا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية. وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري، قال: أنا بريءٌ ممّا برئ منه رسول الله، إنّ رسول الله ﷺ بريءٌ من الحالقة، والصالقة، والشاقة. وفي صحيح مسلمٍ عن أبي مالك الأشعري: أنّ رسول الله ﷺ، قال: أربعٌ في أُمّتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت. وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قطرانٍ ودرعٌ من جربٍ.

والآثار في ذلك متعددةٌ، فكيف إذا انضم إلى ذلك ظلم المؤمنين ولعنهم وسبّهم، وإعانة أهل الشقاق والإلحاد على ما يقصدونه للدين من الفساد، وغير ذلك ممّا لا يحصيه إلاّ الله تعالى..

وقومٌ من المتسنّنة رووا ورويت لهم أحاديث موضوعةٌ بنوا عليها ما جعلوه شعاراً في هذا اليوم يعارضون به شعار ذلك القوم، فقابلوا باطلاً بباطل وردوا بدعةً ببدعة، وإن كانت إحداهما أعظم في الفساد، وأعون لأهل الإلحاد، مثل الحديث الطويل الذي روي فيه: من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام، ومن اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد ذلك العام، وأمثال ذلك من الخضاب يوم عاشوراء، والمصافحة فيه، ونحو ذلك، فإنّ هذا الحديث ونحوه كذبٌ مختلقٌ باتفاق من يعرف علم

الحديث، وإن كان قد ذكره بعض أهل الحديث، وقال: إنّه صحيحٌ وإسناده على شرط الصحيح، فهذا من الغلط الذي لا ريب فيه كما هو مبيّنٌ في غير هذا الموضع.

ولم يستحبّ أحدٌ من أئمّة المسلمين الاغتسال يوم عاشوراء، ولا الكحل فيه والخضاب، وأمثال ذلك، ولا ذكره أحدٌ من علماء المسلمين الذين يقتدى بهم ويرجع إليهم في معرفة ما أمر الله به ونهى عنه، ولا فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا عليّ، ولا ذكر مثل هذا الحديث في شيء من الدواوين التي صنّفها علماء الحديث، لا في المسندات: كمسند أحمد، وإسحاق، وأحمد بن منيعٍ الحميدي، والدالاني، وأبو يعلى الموصلي، وأمثالها، ولا في المصنفات على الأبواب: كالصحاح، والسنن، ولا في الكتب المصنّفة الجامعة للمسند والآثار، مثل: موطأ مالك، ووكيعٍ، وعبد الرزاق، وسعيد بن منصورٍ، وابن أبي شيبة، وأمثالها.

ثمّ إنّ أهل الأهواء ظنّت أنّ من يفعل هذا أنّه يفعله على سبيل نصب العداوة لأهل البيت والاشتفاء منهم، فعارضهم من تسنّن، وأجاب عن ذلك بإجابة بين فيها براءتهم من النصب، واستحقاقهم لموالاة أهل البيت، وأنّهم أحقّ بذلك من غيرهم، وهذا حقّ، لكن دخلت عليهم

الشبهة والغلط في ظنّهم أنّ هذه الأفعال حسنةٌ مستحبّةٌ، والله أعلم بمن ابتدأ وضع ذلك وابتداعه، هل كان قصده عداوة أهل البيت، أو عداوة غيرهم؟

فالهدى بغير هدى من الله ـ أو غير ذلك ـ ضلالةٌ...»[1].

وابن تيمية هنا كعادته من النفي والإنكار، نفى حدوث السبي!

وهو هنا يضيف لنا جديداً وهو: أنّ السبي لا يمكن أن يحدث في أُمّة محمّد لكونها خير أُمّة أخرجت للناس، كما نص على ذلك القرآن، وكأنّه يقول: أنّ القائلين بحدوث السبي يخالفون القرآن، وهذا من عجائبه!!

ويلاحظ أنّ ابن تيمية أسهب في تفصيلات لا لزوم لها، ولا صلة لها بموضوع السؤال، وذلك كحديثه عن الإبل البخاتي والبغال، واستشهاده بروايات تتعلّق بها ولا صلة لها بالسؤال، والغريب! أنّ هذا الإسهاب يتعلّق برواية حكم عليها بالوضع وعدّها من أقبح الكذب وأبينه؛ وممّا افتراه الزنادقة والمنافقون حسب تعبيره، وكان من الأولى به ألاّ يعلّق على هذه الرواية ولا يشغل السائل بها.

إلاّ أنّ الحقيقة هي أنّه يتعمّد هذا الأسلوب في الكلام بهدف إحداث

(١) مجموعة الفتاوى ج٤ ص٤٩٨ ـ ٥١٤.

البلبلة في عقل السامع واستعراض علمه عليه، وهذا الأسلوب تلقّفه منه الوهابيون، فصاروا يخرجون عن جوهر الموضوع في أحاديثهم، ويغرقون في أمور جانبية بهدف تشتيت انتباه السامع والتشويش على أفكاره.

ولمّا كان ابن تيمية يدافع عن يزيد، فمن الطبيعي أن يدافع عن الحجّاج، وعبد الملك بن مروان، وسائر طغاة المسلمين، وهو قد عاصر طغاة المماليك، ولم يصدر عنه أي مقال فيهم، بل مدح بعضهم، كما مدح محمّد بن قلاوون، وكتب له رسالة بخصوص القبور، نشرها الوهابيون تحت عنوان: الجواب الباهر في زوار المقابر.

إلاّ أنّه اعترف بأنّ يزيد لم يقم حدّ الله على من قتل الحسين عليه السلام، وهذا الاعتراف يشكل إدانة ليزيد، ويؤكّد انحرافه عن شرع الله.

وقد استعرض مواقف الفقهاء من يزيد، وهو ما عرضناه سابقاً، منكراً ما نسب إليه من أشعار تقتضي من صاحبها الكفر الصريح، كما ذكر!

وأنكر أيضاً حمل رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد! واستشهد برواية البخاري التي أشرنا إليها سابقاً.

وقال: فإنّ الذي جعل ينكت بالقضيب إنّما كان عبيد الله بن زيادٍ،

هكذا في الصحيح والمساند، وإنّما جعلوا مكان عبيد الله بن زيادٍ يزيد.

ثمّ عرج إلى الحديث عن مكان الرأس، فأنكر وجودها في مصر، وأنّ المشهد الذي بها باطل، وليس فيه شيء، واستشهد بما ذكره الزبير بن بكار في كتاب أنساب قريشٍ من أنّ الرأس جملت إلى المدينة ودفنت في البقيع.

ومع حديثه عن الرأس ومصر، أنحرف كعادته عن جوهر الموضوع وهاجم الفاطميين، وأنكر نسبتهم لسلالة الحسين عليه السلام، مشيراً إلى أن جلب الرأس لمصر وبناء مشهدها إنّما كان لاستجلاب العامّة عرضاً، أي أنّ الأمر كان الهدف منه دعم شعبية الفاطميين وربط الناس بهم، وكان الوزير طلائع بن رزيك قد بنى مسجداً أمام باب زويلة، وهو الباب الجنوبي للقاهرة ليكون مقرّاً للرأس، إلاّ أنّ الأسرة الفاطمية قرّرت دفن الرأس في قصرها، وهو لازال في مكانه حتّى اليوم ضمن مسجد الحسين الذي بني على أنقاض القصر الذي هدمه صلاح الدين، وكذلك مسجد طلائع لازال في مكانه أمام باب زويلة.

وعدّ ابن تيمية الاحتفال بعاشوراء من البدع التي تظهر فيه النياحة والجزع وتعذيب النفوس وظلم البهائم وسبّ من مات من أولياء الله والكذب على أهل البيت، وذلك حسب تعبيره!

وقد بنى الوهابيون موقفهم العدائي من عاشوراء على أساس هذا الكلام.

واستعرض ابن تيمية العديد من النصوص القرآنية والنبوية التي تحضّ على الصبر على المصيبة واسترجاعها كذكرى لا كاحتفال، مستشهداً برواية منسوبة لفاطمة بنت الحسين عليه السلام، ومستنكراً ما تحويه مناسبة عاشوراء من ظلم المؤمنين ولعنهم وسبّهم، والمؤمنون هنا يقصد بهم من ظلم أهل البيت وعلى رأسهم معاوية ويزيد!

وأنكر ابن تيمية أحاديث عاشوراء على الرغم من اعتراف أهل الحديث بها، وعدّ من يقول بأنّ الذين يمارسون مظاهر الفرح في عاشوراء إنّما يكرهون أهل البيت عليهم السلام ويناصبونهم العداء، هم من أهل الأهواء.

النتائج

نتج عن تلك الرؤية المخاصمة للحسين عليه السلام والتعتيم على حركته العديد من الآثار: على المستوى العقدي، وعلى المستوى الثقافي، وهو ما أسهم في تأخّر المسلمين وتخلّفهم، وحتّى تتّضح الصورة، يجب علينا تحديد النتائج والآثار التي ترتّبت عن هذه الخصومة، وهذا التعتيم، وهو ما يمكن تركيزه فيما يلي:

ـ تعاظم دور الحكّام الطغاة في واقع المسلمين..

ـ إضفاء المشروعية على الخنوع والاستسلام لهم..

ـ غياب الرؤية الواعية للتقدّم والنهوض..

وقد نتج عن التخلّص من الحسين عليه السلام إضفاء الشرعية على حكم يزيد. وفقهاء تلك المرحلة الذين أضفوا الشرعية على حكم يزيد، أضفوا الشرعية أيضاً على الحكومات الملكية الطاغية المستبدّة التي جاءت من بعده. وبالإضافة إلى ذلك حرّموا معارضتهم والخروج عليهم، وفوق هذا جعلوا ذلك من أُسس الاعتقاد، ولم يعتدوا بجرائم يزيد ووحشيته في كربلاء والحرّة، ولم يهتمّوا بفسقه ومنكراته، ولا بجرائم ومنكرات وفسق من بعده من الحكّام..

جاء في رسالة (أصول السُنّة) لمؤسّس مذهب أهل السُنّة أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ):

«السمع والطاعة للأئمّة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتّى صار خليفة وسمّي أمير المؤمنين.

والغزو ماضٍ مع الإمام إلى يوم القيامة البر والفاجر لا يترك.

وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمّة ماضٍ، ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم.

ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة، من دفعها إليهم أجزأت عنه، برا كان أو فاجرا.

وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولاه جائزة باقية تامّة، ركعتين من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار، مخالف للسُنّة، ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمّة من كانوا برهم وفاجرهم، فالسُنّة بأن يصلّي معهم ركعتين وتدين بأنّها تامّة لا يكن في صدرك من ذلك شيء.

ومن خرج على إمام من أئمّة المسلمين وقد كانوا اجتمعوا عليه وأقروا بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو الغلبة، فقد شقّ هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن مات الخارج عليه

مات ميتة جاهلية.

ولا يحلّ قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السُنّة والطريق»[1].

وجاء أيضاً في رسالة (أصول السُنّة):

«أصول السُنّة عندنا التمسّك بما كان عليه أصحاب رسول اللهﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكلّ بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات في الدين.

والسُنّة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السُنّة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنّما هو الإتباع وترك الهوى.

ومن السُنّة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها، الإيمان بالقدر خيره وشرّه، والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها. لا يقال: لم ولا كيف، إنّما هو التصديق والإيمان بها.

ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم له،

---

(١) أصول السُنّة ص٤٢ ـ ٤٧.

فعليه الإيمان به والتسليم مثل حديث الصادق المصدوق، ومثل ما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كلّها، وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع، وإنّما عليه الإيمان بها وأن لا يرد منها حرفاً واحد، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات.

وأن لا يخاصم أحداً ولا يناظره، ولا يتعلّم الجدال، فإنّ الكلام في القدر والرؤية والقرآن، وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه، لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السُنّة من أهل السُنّة حتّى يدع الجدال ويؤمن بالآثار»[1].

وجاء في رسالة (شرح السُنّة) للبربهاري (ت٣٢٩هـ):

«إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار، أو يرد الآثار، أو يريد غير الآثار، فاتهمه على الإسلام، ولا تشكّ أنّه صاحب هوى مبتدع.

واعلم أنّ جور السلطان لا ينقص فريضة من فرائض الله التي افترضها على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله، جوره على نفسه، وتطوعك وبرك معه تام إن شاء الله تعالى، يعني الجماعة والجمعة والجهاد معهم، وكلّ شيء من

(١) أصول السُنّة ج١ ص١٤ ـ ٢١.

الطاعات فشاركهم فيه فلك نيّتك له.

وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان، فاعلم أنّه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح، فاعلم أنّه صاحب سُنّة إن شاء الله.

قال فضيل بن عياض: لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلاّ في السلطان. قيل له: يا أبا علي! فسّر لنا هذا؟ قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعدني، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد.

فأُمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نُؤمر أن ندعو عليهم، وإن جاروا وظلموا، لأنّ جورهم وظلمهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين.

وإذا رأيت الرجل يجلس مع أهل الأهواء فاحذره واعرفه، فإن جلس معه بعدما علم فاتّقه فإنّه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده ويريد القرآن، فلا تشكّ أنّه رجل قد احتوى على الزندقة، فقم من عنده ودعه.

واعلم، أنّ الأهواء كلّها ردية تدعو إلى السيف، وأردؤها وأكفرها الرافضة والمعتزلة والجهمية، فإنّهم يريدون الناس على التعطيل والزندقة.

واعلم، أنّه من تناول أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاعلم، أنّه إنّما أراد محمّداً وقد آذاه في قبره.

وإذا ظهر لك من إنسان شيء من البدع فاحذره، فإنّ الذي أخفى عنك أكثر ممّا أظهر، وإذا رأيت الرجل رديء الطريق والمذهب فاسقاً فاجراً صاحب معاص ظالماً، وهو من أهل السُنّة فاصحبه واجلس معه، فإنّه ليس تضرّك معصيته، وإذا رأيت الرجل عابداً مجتهداً متقشفاً محترفاً بالعبادة صاحب هوى فلا تجلس معه ولا تسمع كلامه ولا تمشي معه في طريق، فإنّي لا آمن أن تستحلي طريقه فتهلك معه.

والسُنّة أن تشهد للعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنّة أنّهم من أهل الجنّة لا شكّ فيه، وتعلم أنّ عثمان قتل مظلوماً، ومن قتله كان ظالماً.

فمن أقرّ بما في هذا الكتاب وآمن به واتّخذه إماماً، ولم يشكّ في حرف منه، ولم يجحد حرفاً منه، فهو صاحب سُنّة وجماعة كامل، قد كملت فيه الجماعة، ومن جحد حرفاً ممّا في هذا الكتاب، أو شكّ في حرف منه، أو شكّ فيه أو وقف، فهو صاحب هوى»[1].

(١) شرح السُنّة ص ٧٩ ـ ١٣٢.

وجاء في (اعتقاد أهل السُنّة) للالكائي (ت٤١٨هـ):

«قال سفيان لشعيب بن حرب: يا شعيب! لا ينفعك ما كتبت حتّى ترى الصلاة خلف كلّ بر وفاجر، والجهاد ماض إلى يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان جار أم عدل»[١].

وجاء في (العقيدة الطحاوية) لأبي جعفر الطحاوي (ت٣٢١هـ):

«ولا نرى الخروج على أئمّتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عزّ وجلّ فريضة.

والحجّ والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما»[٢].

وجاء في (العقيدة الواسطية) لابن تيمية (ت٧٢٨هـ):

«ويرون ـ أي أهل السُنّة ـ إقامة الحجّ والجهاد والجُمع والأعياد مع

---

(١) اعتقاد أهل السُنّة ج١ ص١٥٤.

(٢) العقيدة الطحاوية ص٤٧ ـ ٤٩.

الأمراء أبراراً كانوا أو فجّاراً»[1].

وعلى هذا الاعتقاد جميع الفقهاء والمذاهب من أهل السُنّة! وهو اعتقاد برز كرد فعل لحركة الحسين عليه السلام.

وقد أدّى هذا التصوّر الوضعي الباطل الذي لا صله له بأركان الدين ولا بثوابته إلى دعم المنافقين، وعزل الصالحين، والتنكيل بالمخالفين، وتكميم الأفواه، وشيوع الإرهاب، وهو ما أدّى لبروز صورة مشوّهة للإسلام تسببت في تخلف الأُمّة، ووطن للخنوع والاستسلام في واقع المسلمين، ممّا أدى لقتل روح التغيير والابداع في نفوسهم. وجاءت نصوص الفقهاء المناهضة للتغيير والتجديد المجرمة للعقل المحاربة للتفكير، لتدعم حالة الاستسلام والخنوع.

وجاء في (الاعتصام) لإبراهيم الشاطبي (ت٧٩٠هـ):

«وخرج ابن وهبٍ عن عمر بن الخطّاب، أنّه قال: أصبح أهل الرأي أعداء السُنن، أعيتهم الأحاديث أن يعوها، وتفلتت منهم أن يرووها، فاشتقوها بالرأي.

---

(١) العقيدة الواسطية ص٣٢.

وقال: اتّقوا الرأي في دينكم.

وقال أبو بكر بن أبي داود: أهل الرأي هم أهل البدع»[١].

وجاء في (شرح الطحاوية) للحوالي:

«وكان علماء السلف كالإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وأمثالهم من العلماء، كابن المبارك، وابن عيينة، ممّن كانوا على الأثر، والحديث يعدّون أهل الرأي من جملة أهل البدع الذين يردّون الحديث بآرائهم»[٢].

وجاء في (أحاديث في ذمّ الكلام وأهله) للمقرئ (ت٤٥٤هـ):

«قال سفيان الثوري: إنّما الدين الآثار.

وقال: ينبغي للرجل أن لا يحكّ رأسه إلاّ بأثر..

وقال الشافعي: لا يحلّ لأحد من أهل الرأي أن يفتي»[٣].

من هنا أصبح كلّ من يخالف هذا النهج، ويرى الخروج على الطغاة

(١) الاعتصام ج١ ص١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٧٨.

(٣) أحاديث في ذم الكلام وأهله ج٢ ص١٨٠ ـ ١٩٧.

الفاسدين يعد من الخوارج، وكلّ من يرى رأياً يخالف هذه المعتقدات هو مبتدع ضال! وكأنّهم يحذّرون المسلمين من الاقتداء بالحسين عليه السلام.

وهم قد حذّروهم بالفعل عندما ابتدعوا مقاله الكفْ عمّا شجر بين الصحابة، وكما صرّحوا في كتبهم أنّ الخوض في يزيد سوف يؤدّي للخوض في أبيه، وهو ما سوف يفتح الباب للخوض في الصحابة، وهو ما لا يريدونه، لكون فتح هذا الباب سوف يؤدّي لكشف الحقيقة وسقوط مذهبهم.

جاء في (البداية والنهاية) لابن كثير (ت٧٧٤هـ):

«روى الدارقطني عن محمّد وعبد الرحمن ابني جابر بن عبد الله، قالا: خرجنا مع أبينا يوم الحرّة وقد كفّ بصره، فقال: تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلنا: يا أبة! وهل أحد يخيف رسول الله؟ فقال: سمعت رسول الله يقول: من أخاف أهل هذا الحيّ من الأنصار فقد أخاف ما بين هذين، ووضع يده على جبينه. قال الدارقطني: تفرّد به سعد بن عبد العزيز لفظاً وإسناداً.

وقد استدلّ بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى الترخيص في لعنة يزيد ابن معاوية، وهو رواية عن أحمد بن حنبل، اختارها الخلال وأبو بكر

عبد العزيز والقاضي أبو يعلى وابنه القاضي أبو الحسين، وانتصر لذلك أبو الفرج بن الجوزي في مصنّف مفرد، وجوّز لعنته.

ومنع من ذلك آخرون وصنّفوا فيه أيضاً لئلا يجعل لعنه وسيلة إلى أبيه أو أحد من الصحابة، وحملوا ما صدر عنه من سوء التصرفات على أنّه تأوّل وأخطأ، وقالوا: إنّه كان مع ذلك إماماً فاسقاً، والإمام إذا فسق لا يعزل بمجرّد فسقه على أصحّ قولي العلماء، بل ولا يجوز الخروج عليه، لما في ذلك من إثارة الفتنة، ووقوع الهرج، وسفك الدماء الحرام، ونهب الأموال، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهنّ، وغير ذلك، ممّا كان واحدة فيها من الفساد أضعاف فسقه، كما جرى ممّا تقدّم إلى يومنا هذا.

وأمّا ما يذكره بعض الناس من أنّ يزيد لمّا بلغه خبر أهل المدينة وما جرى عليهم عند الحرّة من مسلم بن عقبة وجيشه، فرح بذلك فرحاً شديداً، فإنّه كان يرى أنّه الإمام وقد خرجوا عن طاعته، وأمروا عليهم غيره، فله قتالهم حتّى يرجعوا إلى الطاعة ولزوم الجماعة، كما أنذرهم بذلك على لسان النعمان بن بشير ومسلم بن عقبة.

وقد جاء في الصحيح: من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم

فاقتلوه كائناً من كان»[1].

والرواية المذكورة هي عماد الفقهاء في الحكم على من يشقّ عصا الطاعة ويفارق الجماعة، وهى رواية يبدو بوضوح أنّها من صنع السياسة، وليست من قول رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولم تكن هناك جماعة بالمعنى المفهوم للجماعة من بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله، وإنّما كانت هناك حكومات طاغية فرضت نفسها على المسلمين بقوّة السيف، ولم تكن محلّ قبولهم، وهو ما ينفي وجود جماعة على قلب رجل واحد، وفي زمن واحد كما صوّر الفقهاء.

والرواية يشوبها الغموض، فكلمة بينكم تنطبق على أي جماعة؟ وهي لم تحدّد نوع التفريق وصورته؟

وجملة كائناً من كان تحمل التهديد الصريح لرموز أهل البيت عليهم السلام، فهم قادة الأُمّة، ومحلّ قبول المسلمين، وهم من يخشاهم الحكّام.

وذكر ابن كثير لهذه الرواية يحمل إشارة واضحة على اتّهام الحسين عليه السلام وتبرير قتله!

---

(١) البداية والنهاية ج٨ ص٢٤٤ ـ ٢٤٥ حوادث سنة ثلاث وستّون.

ثمّ قدّم لنا الفقهاء العديد من صور التعتيم على حركة الحسين عليه السلام من أجل الحفاظ على مذهبهم، حتّى أنّهم استثنوا فاجعة كربلاء من بين الفتن التي وقعت في عصر السلف، وقدّموا عليها حوادث لا قيمة لها ولا أثر في واقع الأُمّة:

جاء في (عمدة القاري شرح البخاري) العيني (ت٨٥٥هـ):

«قال الليث عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: وقعت الفتنة الأولى، يعني مقتل عثمان، فلم تبقى من أصحاب بدر أحد، ثمّ وقعت الفتنة الثانية، يعني الحرّة، فلم تبقى من أصحاب الحديبية أحد، ثمّ وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ ـ أي قوّة وشدّة ـ.

ولم يبيّن الثالثة!!

وقال الداودي: الفتنة الأولى مقتل الحسين.

قيل: هذا خطأ، لأنّ في زمن مقتل الحسين لم يكن أحد من البدريين موجوداً»[1].

(١) عمدة القاري ج١٧ ص١١٩ ـ ١٢٠.

وجاء في (الكوثر الجاري) للكوراني الشافعي (ت٨٩٣هـ):

«عن سعيد بن المسيب: وقعت الفتنة الأولى، يعني مقتل عثمان فلم تبق من أصحاب بدر أحداً. اتّفقوا على أنّ هذا وهم، لأنّ أهل السير يتّفقون على أنّ في صفّين كان مع علي سبعون بدرياً.

والجواب: بأنّ قتل عثمان كان سبباً لهلاك أصحاب بدر في خلافة عليّ، وقتال معاوية لا يلتفت إليه. قالوا: والصواب أنّ الفتنة الأولى مقتل حسين. وقال شيخنا: ليس هذا وهم، بل المراد أنّ بين مقتل عثمان وبين وقعة الحرّة مات كلّ بدري.

والفتنة الثانية ـ يعني الحرّة ـ يريد حرّة المدينة، وما قتل فيها مسلم بن عقبة في إمارة يزيد بن معاوية.

ثمّ وقعت الفتنة الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ. قالوا: الفتنة الثالثة: قتل الحجاج ابن الزبير ومن معه، وأراد أنّه لم يبق من الصحابة أحداً»[1].

---

(١) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري ج٧ ص١٥٦، باب شهود الملائكة بدراً.

وجاء في (فتح الباري) لابن حجر (ت٨٥٢هـ):

«قوله: وقعت الفتنة الأولى: يعني مقتل عثمان، فلم تبق من أصحاب بدر أحداً، أي أنّهم ماتوا منذ قامت الفتنة بمقتل عثمان إلى أن قامت الفتنة الأخرى بوقعة الحرّة، وكان آخر من مات من البدريين سعد بن أبي وقاص، ومات قبل وقعة الحرّة ببضع سنين...

وزعم الداودي أنّ المراد بالفتنة الأولى مقتل الحسين بن عليّ، وهو خطأ، فإنّ في زمن مقتل الحسين بن عليّ لم يكن أحد من البدريين موجوداً..

قوله: ثمّ وقعت الفتنة الثانية: يعني الحرّة... الخ: كانت الحرّة في آخر زمن يزيد بن معاوية...

قوله: ثمّ وقعت الثالثة: كذا في الأصول... ولم يفسّر الثالثة كما فسّر غيرها، وزعم الداودي أنّ المراد بها فتنة الأزارقة وفيه نظر، لأنّ الذي يظهر أنّ يحيى بن سعيد أراد الفتن التي وقعت بالمدينة دون غيرها... وذكر ابن التين أنّ مالكاً روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري قال: لم تترك الصلاة في مسجد النبيّ ﷺ إلاّ يوم قتل عثمان ويوم الحرّة. قال

مالك: ونسيت الثالثة»[١].

ويظهر لنا ممّا عرض أنّ الفقهاء والمؤرّخين يتجنبون ذكر كربلاء وكونها من الفتن!! وحجّتهم في ذلك: التمسّك بحرفية أثر منسوب لابن المسيّب لا وزن له من الأصل.

وقد أخطأ فيه ابن المسيّب حين ذكر أنّ فتنة عثمان لم تبق من أصحاب بدر أحداً..

وصحّح له الشارح بقوله: اتفقوا على أن هذا وهمٌ، لأنّ أهل السير يتفقون على أنّ في صفّين كان مع عليّ عليه السلام سبعون بدرياً[٢].

وكأنّ ابن المسيّب لا يريد أن يكشف دور البدريين الذين وقفوا إلى جانب الإمام علي عليه السلام في وقعة صفّين! ويظهر أنّها محاولة تعتيم من الراوي.

أمّا وقعة الحرّة فقد عرَّت الفقهاء ومذاهبهم. ورغم اعترافهم ببشاعتها وإجماعهم فقهاء ومؤرّخين على أنّ جند يزيد استباحوا المدينة ثلاثة أيام، رغم ذلك لم يجرؤ أحد منهم على اتّخاذ الموقف الشرعي من

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٧ ص٢٥٠، باب شهود الملائكة بدراً الحديث الرابع والعشرون.

(٢) انظر: المصدر نفسه.

يزيد، ولجأوا كعادتهم إلى تبرير موقفه والتماس العذر، وتجاوز بعضهم الحدّ وهاجم الإمام الحسين عليه السلام، كابن تيمية، وابن كثير!!

قال ابن حجر في (فتح الباري):

«وكانت وقعة الحرّة في سنة ثلاث وستّين، وسببها أنّ أهل المدينة خلعوا بيعة يزيد بن معاوية لما بلغهم ما يتعمّده من الفساد، فأمّر الأنصار عليهم عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر، وأمّر المهاجرون عليهم عبد الله ابن مطيع العدوي، وأرسل إليهم يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المري في جيش كثير، فهزمهم واستباحوا المدينة، وقتلوا بن حنظلة، وقتل من الأنصار شيء كثير جدّاً...»[1].

وقال المناوي في (فيض القدير):

«وجّه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة في جيش إلى المدينة، فقتل من فيها من بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين، وهم ألف وسبعمائة،

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٨ ص٤٩٩، باب قوله: (سواء عليهم أستغفرت...).

ومن الأخلاط عشرة آلاف.

قال السمهودي: قال القرطبي: وجالت الخيل في المسجد النبوي، وبالت وراثت بين القبر والمنبر، وخلت المدينة من أهلها، وبقيت ثمارها للعوافي. وذكر نحوه ابن حزم...»[١].

وقال القسطلاني في (إرشاد الساري):

«وقعة الحرّة خارج المدينة التي وقعت بين عسكر يزيد وأهل المدينة في سنة ثلاث وستّين بسبب خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية. وأباح مسلم بن عقبة أمير جيش يزيد المدينة ثلاثة أيام يقتلون ويأخذون الناس، ووقعوا على النساء، حتّى قيل: إنّه حملت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج...»[٢].

وقال ابن كثير في (البداية والنهاية):

«وكان سبب وقعة الحرّة أنّ وفداً من أهل المدينة قدموا على يزيد بن

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ج١ ص٥٧ ـ ٥٨.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ح٦ ص٣٥٠، باب غزوة الحديبية.

معاوية بدمشق فأكرمهم وأحسن جائزتهم، وأطلق لأميرهم ـ وهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ـ قريباً من مائة ألف، فلمّا رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح في شربه الخمر، وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها، بسبب السكر، فاجتمعوا على خلعه، فخلعوه عند المنبر النبوي، فلمّا بلغه ذلك بعث إليهم سرية، يقدمها رجل يقال له: مسلم بن عقبة. وإنّما يسميه السلف: مسرف بن عقبة، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام، فقتل في غضون هذه الأيام بشراً كثيراً، حتّى كاد لا يفلت أحد من أهله، وزعم بعض علماء السلف أنّه قتل في غضون ذلك ألف بكر، فالله أعلم.

وقال عبد الله بن وهب عن مالك: قتل يوم الحرّة سبعمائة رجل من حملة القرآن. حسبت أنّه قال: وكان فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ، وذلك في خلافة يزيد.

وقال يعقوب بن سفيان: سمعت سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري يقول: قتل يوم الحرّة عبد الله بن يزيد المازني، ومعقل بن سنان الأشجعي، ومعاذ بن الحارث القاري، وقتل عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر. قال يعقوب: وحدّثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، عن الليث، قال: كانت وقعة الحرّة يوم الأربعاء لثلاث بقين من الحجّة سنة ثلاث

وستّين...»[1].

ولم يفصّل لنا ابن حجر في روايته ما وقع لأهل المدينة من بشاعة وجرائم يندى لها الجبين! وكذلك رواية المناوي والقسطلاني!

أمّا ابن كثير، فقد توسّع في ذكر حوادثها، وذكر أن يزيد رشا وفد المدينة، ولمّا عادوا من الشام انقلبوا عليه، وهذا كلام فيه نظر، ومحاولة لتبرير ما فعله يزيد!

وأقصى ما تمخض به، أنّه قال عن مسلم بن عقبه: إنّ السلف يسمّيه مسرف بن عقبه، وذلك بسبب إسرافه في القتل والهتك. وهو لم يتفرّد بهذا القول، فقد ذكر على لسان العديد من الفقهاء والمؤرّخين الذين ذكروا وقعة الحرّة.

ومثل هذه العقائد والأثار والنصوص التي برزت كردّ فعل لحركة الإمام الحسين عليه السلام، طوقت عقول المسلمين، وأدخلتهم في حالة من التيه، حالت بينهم وبين التشخيص الحقيقي لأزمتهم وكيفية النهوض بهم، وصوّرت لهم أنّ المخرج الوحيد هو في إقامة دولة خلافة على

(١) البداية والنهاية ج٦ ص٢٦٢.

منهاج النبوّة. وهذا التصوّر هو ما برّر الإرهاب السائد في واقع المسلمين اليوم، وأضفى الشرعية عليه.

والسؤال هنا هو: هل سرّ تخلّف المسلمين يكمن في سقوط دولة الخلافة وضياع فكرتها من واقع المسلمين، أم في ضياع فكرة الإصلاح والتغيير، والتعتيم على حقيقة الإسلام ودور المصلحين؟

والجواب ببساطة هو: أنّه لم تقم دولة على منهاج النبوّة في تأريخ المسلمين، والصورة العالقة في أذهان المسلمين عن دولة الخلافة إنّما هي صورة وهمية، تكشف لنا أنّ العقل المسلم في حالة غيبوبة، لن يفيق منها إلاّ عندما يملك القدرة على تبنّي فكرة التغيير والإصلاح.

أو بصورة أوضح: يملك القدرة على فهم حركة الإمام الحسين عليه السلام. وهذا يتطلّب منه بالطبع أن ينتفض في وجه خصوم الحسين عليه السلام، ويتحرّر من رواياتهم وعقائدهم ونصوصهم.

(ملاحق الكتاب)

ملحق (١)

قراءة في كتاب (العواصم من القواصم) لابن العربي (ت٥٤٣هـ)

هذا الكتاب طبع لأوّل مرّة عام ١٣٧١هـ، وهو رسالة صغيرة تمّ تضخيمها والتوسّع فيها من قبل مجموعة من فقهاء الوهابية الذين دعموها بتعليقاتهم وروايات ونصوص ابن تيمية وغيره، وهذه الرسالة تعتمد على تأويل النصوص التي وردت في ذمّ الصحابة وتبرير الحوادث التي ارتبطت بهم بما يخدم مذهب أهل السُنّة.

وقد تمّ استثمارها من قبل الوهابيين الذين قاموا بتحقيقها على طريقتهم وسدّوا عوراتها وطبعوها عدّة طبعات، ونشروها في كلّ مكان، وكان الهدف من نشرها هو تثبيت معتقدهم في الصحابة والحوادث التي ارتبطت بهم، وأيضاً ضرب الشيعة والحدّ من تأثيرهم.

وقد قام ببعث هذه الرسالة وتحقيقها واختراع عنوانها (محب الدين الخطيب (ت١٣٨٩هـ ١٩٦٨م)، صاحب المطبعة السلفية ومكتبتها

بالقاهرة ، وهو أوّل من بذر بذور الوهابية في مصر في العشرينيات من القرن الماضي بالتعاون مع ابن باز.

وقام الداعية الوهابي المصري محمّد جميل غازي رئيس المركز الإسلامي العام لدعاة التوحيد والسُنّة، والمحقّق السوري محمود مهدي الإستانبولي بكتابة مقدّمات الطبعات الجديدة، بالإضافة إلى محقّق آخر قام بالمراجعة والتعليق.

وقد اخترنا هنا الفصل الخاص بالحسين عليه السلام من الكتاب. وسوف يرى القارئ ممّا ذكر على لسان ابن العربي، وغازي والإستانبولي، والخطيب ــ بالإضافة إلى المحقّق ومن استنجد بهم لدعم مذهبه وموقفهم من ثورة الحسين عليه السلام ـ ما يستفز العقل، ويخرج عن حدود المألوف، وحتّى عن حدود الدين..

قال محمّد جميل غازي في تقديمه للكتاب: «ولقد كان المجال التاريخي ـ ولا زال، وسيظل ـ معبّراً للتصوّرات الباهتة، والروايات الموضوعة، التي تؤيّد حزباً ضدّ حزب، وتعين فريقاً على فريق.

إنّ الرواية التاريخية أصبحت على لسان المحاربين كالسيف الذي في أيديهم يقتلون بها ويثيرون القلاقل في صفوف أعدائهم، وإذا كانت الحرب الباردة تعتمد على الإشارة والأكاذيب، فإنّ الإشاعة والأكاذيب

تحوّلت إلى روايات تاريخية، بل إلى روايات حديثية يضعها الوضّاعون، ثمّ يرفعونها بلا خوف ولا خجل إلى الرسولﷺ، أو يقفونها بلا حياء عند صحابته.

وإنّ الله الذي تعهد بحفظ ذكره ووحيه قيض لهذه الثقافة من ينفي عنها الخبث والعبث والضلال والتضليل والزيف والدخيل، وما هذا الكتاب الذي نقدمه للناس اليوم إلاّ واحد من هذه الأعمال الجليلة التي قام بها علماء أجلاء ينافحون بها عن دين الله، ويبعدون بها الخرافة والضلالة عن كواه.

ومؤلّف هذا الكتاب هو الإمام الحجّة الثبت محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن أحمد المعافري الأشبيلي المعروف بالقاضي أبي بكر بن العربي، ولد في ٢٢ شعبان سنة ٤٦٨هـ وتوفي في ربيع الأول سنة ٥٤٣هـ.

والعواصم من القواصم مؤلّف عظيم للقاضي أبي بكر بن العربي، نشره الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة ١٣٤٧هـ في جزئين، وذلك عن مخطوطة جامع الزيتونة بتونس، وبالمخطوطة خروم وسقطات وتقديم وتأخير، ولعلّ ذلك من الناسخ، أخذ منه الشيخ محبّ الدين الخطيب قسماً من الجزء الثاني منه ابتداء من صفحة ٩٨ إلى صفحة ١٩٣، ونشره

معتمداً على هذه المطبوعة فقط، ولم يلتفت إلى أي مخطوطة أخرى، وسمّاه (العواصم من القواصم) في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، وذلك للمرّة الأولى سنة ١٣٧١هـ، ثمّ توالت الطبعات عن هذه الطبعة نفسها»[1].

وقال محمود مهدي الإستانبولي في مقدّمته: «وقد أصبح من الفرض الديني والقومي والوطني على كلّ من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات، وأن يبادر له، ويجتهد فيه ما استطاع إلى أن يكون أمام شباب المسلمين مثال صالح من سلفهم يقتدون به، ويجدّدون عهده، ويصلحون سيرتهم بصلاح سيرته.

وهذا التوجيه يذكّرنا بأثر ورد عن الصاحبي الجليل جابر بن عبد الله: إذا لعن آخر هذه الأُمّة أوّلها، فمن كان عنده علم فليظهره، فإنّ كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمّد صلى الله عليه وآله.

وقد كان أوّل من سارع إلى القيام بهذا الواجب العلاّمة القاضي أبو بكر ابن العربي في كتابه العظيم: العواصم من القواصم، في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبيّ، وتبرئتهم ممّا نسبه إليهم الملاحدة

(١) العواصم من القواصم ص٩ ـ ١٠.

والمفسدون والمضلّلون.

وقد كشف في هذا الكتاب عن نور الحقّ، وخذل الباطل، فإذا هو زاهق، وأضاء المصباح بعدما كاد يخبو.

والعجب من كثير من علماء المسلمين أنّهم نسوا كتاب العواصم من القواصم، فجعل الجيل المسلّم الحقيقة التي تذبح على مائدة الخونة والمتآمرين على الإسلام؛ ليضلّلوه وينفّروه من سيرة الجيل المثالي؛ خشية أن يقتدي به، ويحلق كما حلق سلفه من قبل في ذر المجد والعظمة، فيعيد سيرة الإسلام الأولى.

لهذا كلّه رأينا أن نتحف بهذا الكتاب العظيم القرّاء؛ ليصحّح الكثيرون منهم ما تلقوه من معلومات خاطئة، آملين أن يضعوه بين أيدي أبنائهم وبناتهم، لينجوا من الأفكار الخاطئة التي علقت في أذهانهم بسب الكتب التي يتداولونها، والدروس التي يتلقّونها، فيتّخذوا من سيرة الصحابة مثلاً عالياً يحتذونه، وشحنة، بل شحنات قوّية تدفع بهم إلى الأمام، إلى آفاق العظمة والمجد والسؤدد، وإلى التشوّق إلى حياة البطولة والجهاد، والشوّق لرائحة الجنّة...»[1].

(١) العواصم من القواصم ص٤٢ ـ ٤٣.

وقال أيضاً: «وزاد هذا الكتاب روعة ونفعاً وإيضاحاً تعليقات فقيد الإسلام والعروبة العلاّمة محب الدين الخطيب، وأجزل ثوابه، وأسكنه فسيح جناته.

وقد أضفنا إليه بعض التحقيقات الحديثية والتاريخية، فجاء تحفة علمية، ووثيقة تأريخية قليلة النظير»[1].

وقال محب الدين الخطيب في تقديمه للكتاب: «وفي قوم طاعن عمر بالسكين [أي الفرس] من يؤلّفون المؤلّفات إلى يومنا هذا في تشويه حسنات هذا المثل الأعلى للعدل والإنسانية والخير. وفي عصر عثمان من ضاقت صدورهم بطيبة ذلك الخليفة الذي خلق قلبه من رحمة الله، فاخترعوا له ذنوباً، وما زالوا يكرّرونها على قلوبهم حتّى صدّقوها، وتفننوا في إذاعتها، ثمّ استحلوا سفك دمه الحرام، في الشهر الحرام، بجور قبر أبي زوجتيه محمّد عليه الصلاة والسلام.

وما برحت الإنسانية تشاهد المعجزات من رجالات الإسلام في نشره، وإدخال الأُمم فيه، وتوسيع النطاق في الآفاق لكلمة: الله أكبر... حيّ على الفلاح.. حتّى نودي بها على جبال السند، في ربوع الهند، وعلى

(١) العواصم من القواصم ص٤٤.

سواحل المحيط غرباً، وفي أودية أوربا وجبالها، بما لم يملك أن يصفه حتّى أعداء الإسلام إلاّ بأنه معجزة، كلّ هذا في زمن هذه الدولة الأموية التي لو صدر عن المجوس، وعبدة الأوثان، عشر ما صدر عنها من الخير، وجزء من مائة جزء ممّا أثر عن رجالها من أنصاف ومروءة وكرم وشجاعة وإيثار وفصاحة ونبل، لرفعوا لأولئك المجوس والوثنيين ألوية الثناء والتقدير في الخافقين، والتاريخ الصادق لا يريد من أحد أن يرفع لأحد لواء الثناء والتقدير، لكنّه يريد من كلّ من يتحدث عن رجاله أن يذكر لهم حسناتهم على قدرها، وأن يتّقي الله في ذكر سيئاتهم، فلا يبالغ فيها، ولا ينخدع بما افتراه المغرضون من أكاذيبها...»[1].

وقال أيضاً: «إذا بدأ المشتغلون بتاريخ الإسلام من أفاضل المسلمين في تمييز الأصيل عن الدخيل من سيرة هؤلاء الأفاضل العظماء، فإنّهم ستأخذهم الدهشة لما اخترعه إخوان أبي لؤلؤة، وتلاميذه عبد الله بن سبأ، والمجوس الذين عجزوا عن مقاومة الإسلام وجهاً لوجه في قتال شريف، فادعوا الإسلام كذباً، ودخلوا قلعته مع جنوده خلسة،

(١) العواصم من القواصم ص٤٦ ـ ٤٧.

وقاتلوهم بسلاح (التقيّة)، بعد أن حوّلوا مدلولها إلى النفاق، فأدخلوا في الإسلام ما ليس منه، وألصقوا بسيرة رجاله ما لم يكن فيها، ولا من سجية أهلها، وبهذا تحوّلت أعظم رسالات الله وأكملها إلى طريقة من الخمول والعطالة والجمود كان من حقّها أن تقتل الإسلام والمسلمين قتلاً، لولا قوّة الحيوية الخارقة التي في الإسلام، وهي التي يرجى ــ إذا رجعنا إلينا، وجرّدناها من الطوارئ عليها، وخلصنا سيرة رجالها ممّا شيبت به، وسرنا في طريقهم مخلصين ـ أن نعود مسلمين من ذلك الطراز الأوّل كما كان في الواقع، لا كما أراد مبغضوا الصحابة والتابعين لهم بإحسان أن يعرضوه على الناس.

ونحن بتقديمنا هذه الحقائق من قلم الإمام ابن العربي، أو من النصوص الأصلية التي علّقنا بها عليها، إنّما أردنا عكس ما يريد المتعرضون لهذه البحوث من ترديد خلافات عفى عليها الزمن، والصحابة كانوا أسمى أخلاقاً، وأصدق إخلاصاً لله، وترفّعاً عن خسائس الدنيا من أن يختلفوا للدنيا، لكن كان في عصرهم من الأيدي الخبيثة التي عملت على إيجاد الخلاف وتوسيعه، مثل الأيدي الخبيثة التي جاءت فيما بعد، فصوّرت الوقائع بغير صورتها، ولّما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله هم قدوتنا في ديننا، وهم حملة الكتاب الإلهي والسُنّة

المحمّدية إلى الذين حملوا عنهم أماناتها حتّى وصلت إلينا، فإنّ من حقّ هذه الأمانات على أمثالنا أن ندرأ عن سيرة حفظتها الأوّلين كلّ ما ألصق بهم من إفك ظلماً وعدواناً...

وهذا الكتاب الذي ألفه عالم من كبار أئمّة المسلمين؛ بياناً لما كان عليه أصحاب رسول اللهﷺ من صفات الكمال، وإدحاضاً لما ألصق بهم وبأعوانهم من التابعين لهم بإحسان، يصلح على صغره لأن يكون صيحة من صيحات الحقّ، توقظ الشباب المسلم إلى هذه الدسيسة التي دسّها عليهم أعداء الصحابة ومبغضوهم، ليتّخذوها نموذجاً لأمثالها من الدسائس، فيتفرّغ الموفقون إلى الخير منهم لدراسة حقيقة التاريخ الإسلامي واكتشاف الصفات النبيلة في رجاله، فيعلموا أنّ الله عزّ وجلّ قد كافأهم عليها بالمعجزات التي تمّت على أيديهم وأيدي أعوانهم في إحداث أعظم انقلاب عرفه تاريخ الإنسانية. ولو كان الصحابة والتابعون بالصورة التي صوّرهم بها أعداؤهم ومبغضوهم، لكان من غير المعقول أن تتم على أيديهم تلك الفتوح، وأن تستجيب لدعوتهم الأُمم بالدخول في دين الله أفواجاً.

والقاضي أبو بكر ابن العربي مؤلّف (العواصم من القواصم) إمام من أئمّة المسلمين، ويعتبره فقهاء مذهب الإمام مالك أحد أئمّتهم

المقتدى بأحكامهم، وهو من شيوخ القاضي عياض مؤلف كتاب (الشفا في التعريف بحقوق المصطفى)، ومن شيوخ ابن رشد العالم الفقيه»[١].

ـ التعليق:

ويظهر لنا من خلال كلام غازي أنّ جميع الروايات التي تنصف الحسين عليه السلام وتعرّي خصومه، وتشكّك في الصحابة أو يزيد تعد من التصوّرات الباهتة والروايات الموضوعة!

وهى ـ حسب تعبيره ـ من الشائعات والأكاذيب التي تحوّلت إلى روايات تأريخية، بل إلى روايات حديثية، يضعها الوضّاعون، ثمّ يرفعونها بلا خوف ولا خجل إلى الرسول صلى الله عليه وآله، أو يقفونها بلا حياء عند صحابته، وذلك حسب نصّ كلامه..

وهذا يعني انحيازه الكامل لصف أعداء الحسين عليه السلام وقاتليه!

أمّا الإستانبولي، فقد اعتبر أنّ ابن العربي أتحف الأُمّة بكتاب عظيم يصحّح ما تلقته من معلومات خاطئة من الكتب المتداولة بين أيدي

---

(١) العواصم من القواصم ص٤٨.

المسلمين، وهو بهذا يردّد كلام ابن العربي الذي ذكره في كتابه تحت عنوان: (تحذير المسلمين من أهواء المفسّرين والمؤرّخين الجهلة منهم وكذا أهل الآداب)، وعدّها (عاصمة)، قال: «إنّما ذكرت لكم هذا لتحترزوا من الخلق، وخاصّة من المفسّرين، والمؤرّخين، وأهل الآداب، فإنّهم أهل جهالة بحرمات الدين، أو على بدعة مصرّين، فلا تبالوا بما رووا، ولا تقبلوا رواية إلاّ عن أئمّة الحديث، ولا تسمعوا لمؤرّخ كلاماً إلا للطبري، وغير ذلك هو الموت الأحمر، والداء الأكبر، فإنّهم ينشئون أحاديث استحقار الصحابة والسلف، والاستخفاف بهم، واختراع الاسترسال في الأقوال والأفعال عنهم، وخروج مقاصدهم عن الدين إل الدنيا، وعن الحقّ إلى الهوى. فإذا قاطعتهم أهل الباطل، واقتصرتم على رواية العدول، سلمتم من هذه الحبائل، ولم تطووا كشحاً على هذه الغوائل...

فأمّا الجاهل فهو ابن قتيبة، فلم يبق ولم يذر للصحابة رسماً في كتاب الإمامة والسياسية إن صحّ عنه جميع ما فيه، وكالمبرّد في كتابه الأدبي، وأين عقله من عقل ثعلب الإمام المتقدّم في أماليه، فإنّها ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأُمّة...

وأمّا المبتدع المحتال فالمسعودي، فإنّه بها يأتي منه متاخمة الإلحاد فيما

روى من ذلك، وأمّا البدعة فلا شكّ فيه.

فإذا صنتم أسماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل، ولم تسمعوا في خليفة ممّن نسب إليه ما لا يليق، ويذكر عنه ما لا يجوز نقله، كنتم على منهج السلف سائرين، وعن سبيل الباطل ناكبين...»[1].

وإذا كان ابن العربي يجهّل المؤرّخين، وينصح المسلمين بضرورة أخذ الأحاديث من أئمّة الحديث، فإنّ الروايات التي تنصف الإمام الحسين عليه السلام وتضفي الشرعية على حركته وتدين يزيد وأبيه جاءت عن طريق أئمّة الحديث، وقد سبق الإشارة إلى بعضها.

وإذا كان يطالب المسلمين بألاّ يسمعوا غير كلام الطبري، فقد أورد في تأريخه العديد من الروايات التي تدحض أقواله، وتكشف حقيقة حركة الحسين عليه السلام.

فقال الطبري (ت٣١٠هـ): «وفي هذه السنة (٦١هـ) كان خروج الحسين عليه السلام من مكّة متوجّهاً إلى الكوفة...

قال أبو مخنف: عن أبي سعيد، عن بعض أصحابه، قال: سمعت الحسين بن عليّ وهو بمكّة وهو واقف مع عبد الله بن الزبير، فقال له ابن

(١) العواصم من القواصم ص٢٤٧ ـ ٢٤٩.

الزبير: إليَّ يابن فاطمة، فأصغى إليه فساره. قال: ثمّ التفت إلينا الحسين فقال: أتدرون ما يقول ابن الزبير؟ فقلنا: لا ندري جعلنا الله فداك. فقال: أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس، ثمّ قال الحسين: والله لأن أقتل خارجاً منها بشبر أحبّ إليَّ من أن أقتل داخلاً منها بشبر، وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتّى يقضوا في حاجتهم، ووالله ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في السبت»[1].

وهذه الرواية الأولى تكشف لنا أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يتحرّك بعلم الواقع وعلم المستقبل، كان يعلم أنّ المواجهة مع الطغاة حتمية، وكان يعلم أنّه مقتول.

وهو ما ينفي العشوائية عن حركته، ويدحض تلك الروايات التي يحتجّ بها الخصوم من أنّ الحسين عليه السلام لم يقبل نصح من نصحوه بعدم الخروج، وعلى رأسهم: ابن عبّاس، وابن عمر، وعبد الله بن الزبير.

وتلك الروايات بين أمرين:

الأوّل: أنّ الناصحين كانوا يجهلون شخصية الحسين عليه السلام، وكونه إمام من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، يحمل علم الكتاب ويتحرّك وفق إشارات

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري ج٤ ص٢٨٧ ـ ٢٨٩.

ربانية.

الثاني: أنّ هذه الروايات مختلقة من الأصل.

والثاني هو الأرجح.

(الرواية الثانية):

«قال أبو مخنف: حدّثني الحارث بن كعب الوالبي، عن عقبة بن سمعان، قال: لمّا خرج الحسين من مكّة اعترضه رسل عمرو بن سعيد ابن العاص، عليهم يحيى بن سعيد، فقالوا له: انصرف أين تذهب؟ فأبى عليهم ومضى، وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط.

ثمّ إنّ الحسين وأصحابه امتنعوا امتناعاً قوّياً، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه، فنادوه: يا حسين! ألا تتقي الله تخرج من الجماعة، وتفرّق بين هذه الأُمّة. فتأول حسين قول الله عزّ وجلّ: ﴿**لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[1].

قال: ثمّ إنّ الحسين أقبل حتّى مرّ بالتنعيم فلقي بها عيراً قد أقبل بها من اليمن بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية، وكان عامله على اليمن، وعلى العير الورس والحلل ينطلق بها إلى يزيد،

(١) سورة يونس: الآية ٤١.

فأخذها الحسين فانطلق بها، ثمّ قال لأصحاب الإبل: لا أكرهكم، من أحبّ أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسنا صحبته، ومن أحبّ أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض، قال فمن فارقه منهم حوسب فأوفي حقّه، ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه...»[1].

وهذه الرواية تكشف لنا صلابة موقف الإمام الحسين عليه السلام، وإصراره على المضي نحو تحقيق رسالته، وهو ما يؤكّد لنا أيضاً أنّ الحسين عليه السلام كان مأموراً وموجّهاً، وأنّ جماعته هي جماعة الحقّ، وخصومه يمثلون جماعة الباطل، فمن ثمّ لا يعد من الخارجين على الجماعة، بل هو ممثلها الشرعي، وأنّ الخوارج هم يزيد وأتباعه.

(الرواية الثالثة):

«قال أبو مخنف: حدّثني الحارث بن كعب الوالبي، عن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، قال: لمّا خرجنا من مكّة كتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى الحسين بن عليّ مع ابنيه عون ومحمّد:

أمّا بعد، فإنّي أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي، فإنّي مشفق

(١) تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص٢٨٩ ـ ٢٩٠.

عليك من الوجه الذي توجه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنّك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير، فإنّي في أثر الكتاب والسلام.

قال: وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلّمه، وقال: اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنّيه فيه البر والصلة، وتوثّق له في كتابك، وتسأله الرجوع، لعلّه يطمئن إلى ذلك فيرجع.

فقال عمرو بن سعيد: اكتب ما شئت وأتني به حتّى أختمه. فكتب عبدالله بن جعفر الكتاب ثمّ أتى به عمرو بن سعيد، فقال له: اختمه وابعث به مع أخيك يحيى ين سعيد فإنّه أحرى أن تطمئن نفسه إليه ويعلم أنّه الجد منك، ففعل. وكان عمرو بن سعيد عامل يزيد بن معاوية على مكّة.

قال: فلحقه يحيى وعبد الله بن جعفر، ثمّ انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب وجهدنا به، وكان ممّا اعتذر به إلينا أن قال: إنّي رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمرت فيها بأمر أنا ماض له.

فقالا له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدّثت أحدا بها، وما أنا محدّث بها

حتّى ألقى ربّي...»[١].

وهذه رواية مغرضة تهدف لضرب أهل البيت عليهم السلام ببعضهم، وإحداث بلبلة في صفوف أنصارهم، وهي امتداد للروايات المختلقة السابقة التي تصوّر أنّ الحسين عليه السلام يتحرّك بلا علم، ويرفض النصح حتّى من أبناء عمومته.

وربط هذه الرواية بالإمام عليّ بن الحسين عليه السلام محاولة من الراوي لتجريحه، وكأنّه لا يعلم بحقيقة حركة والده.

إلاّ أنّ إعلان الإمام الحسين عليه السلام أنّه ماض بأمر في مواقف عدّة يدفع كلّ الشبهات عن حركته.

(الرواية الرابعة):

«عن ابن سعد، قال: حدّثني علي بن محمّد، عن جعفر بن سليمان الضبعي، قال: قال الحسين: والله لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم، حتّى يكونوا أذلّ من فرم الأُمّة. فقدم للعراق فقتل بنينوى يوم عاشوراء سنة ٦١»[٢].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٢) تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص٢٩٦.

«قال أبو مخنف عن عقبة بن أبي العيزار: إنّ الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحرّ بالبيضة، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسُنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله...»[1].

وخطبة الإمام الحسين عليه السلام هذه تقطع كلّ السبل على خصوم الحسين عليه السلام، وتسدّ الأبواب في وجوههم، فقد أعلن صراحة عن أهداف حركته، أو ثورته، وأنّها حركة قامت لمواجهة الظلم والفساد والطغيان والمتلاعبين بالدين من أتباع الشيطان.

وأمام هذا الإعلان تسقط دعاوى الخصوم ومحاولتهم التعتيم على حركته، باختراع روايات واهية تدحضها الحقائق الساطعة.

(الرواية الخامسة):

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص٣٠٤.

«عن ابن سعد ...عن زر بن حبيش، قال: أوّل رأس رفع على خشبة رأس الحسين رضي الله عنه وصلّى الله على روحه»[١].

«قال حصين: فلمّا قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة كأنّما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتّى ترتفع»[٢].

وهنا يقدم لنا الطبري من خلال رواية حصين البرهان الساطع والدليل القاطع على أنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام كانت حركة ربانية..

وقد قدّم لنا من قبل الدليل على تكريم الإمام الحسين عليه السلام وعلوّ مكانته وعظيم مقامه ذكر (عليه السلام) كلّما أورد اسمه في كتابه.

وهذه نماذج ممّا روى الطبري، فهل غفل عنها ابن العربي أم أنّه لم يقرأ الطبري من الأصل؟!

وجاء الخطيب فتحدّث بلغة عنصرية فجَّة، وكال المدح والثناء للخلفاء وبني أُميّة، رافعاً شعار التقوى وعدم ذكر سيئات القوم والمبالغة فيها، رغم ما تقرّره الروايات من سيئاتهم ومنكراتهم، تلك الروايات التي عدّها من الأكاذيب.

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص٢٩٧.

(٢) تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص٢٩٦.

وعدّ المحقق أنّ ما روي في المصادر التأريخية وغيرها، ممّا يمس الصحابة، أو معاوية ويزيد، هو من اختراع إخوان أبي لؤلؤة، وعبد الله ابن سبأ.

وعدّ كتاب ابن العربي بياناً وإدحاضاً لما ألصق بالصحابة والتابعين من أكاذيب، وقال: لو كان الصحابة والتابعون بالصورة التي صوّرهم بها أعداؤهم ومبغضوهم، لكان من غير المعقول أن تتم على أيديهم تلك الفتوح، وأن تستجيب لدعوتهم الأُمم بالدخول في دين الله أفواجاً، وهل حازوا على صفات الكمال كما ذكر..

والجواب: بالطبع لا.

إلاّ أنّ السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: هل كانت الغزوات التي أسماها الفقهاء والمؤرّخون فتوحات تعد عملاً مشروعاً؟!

وهل حقاً دخلت الناس في دين الله أفواجاً عن طريق هذه الغزوات؟!

وما هو القول في أنّ جميع الدول التي تم غزوها ارتدّت عن الإسلام، وعلى رأسها بلاد الأندلس، ولم يبق على الإسلام منها سوى البلاد التي دخلها الإسلام عن طريق الدعاة والمبلّغين؟!

ولقد كان موقف عمر بن عبد العزيز من بني أُميّة صارماً وفاضحاً

حين وقف في وجوههم وهم يمنعون الناس من اعتناق الإسلام خوفاً من أن تقلّ الجزية والخراج، وقال مقالته الشهيرة: «إنّ الله بعث محمّداً هادياً، ولم يبعثه جابياً»[1].

(ابن العربي والحسين عليه السلام):

قال: «فإن قيل: ولو لم يكن ليزيد إلاّ قتله للحسين بن عليّ.

قلنا: يا أسفا على المصائب مرّة، ويا أسفا على مصيبة الحسين ألف مرّة، بوله يجري على صدر النبيّ صلى الله عليه وآله، ودمه يراق على البوغاء ــ التراب الناعم ـ لا يحقن.. يا لله ويا للمسلمين.

وإنّ أمثل ما روى فيه أنّ يزيد كتب إلى الوليد بن عتبة ينعي له معاوية، ويأمره أن يأخذه له البيعة على أهل المدينة، فدعاة مروان فأخبره، فقال له: أرسل إلى الحسين بن عليّ وابن الزبير، فإن بايعوا وإلاّ فاضرب أعناقهم، قال: سبحان الله! تقتل الحسين بن عليّ وابن الزبير!! قال: هو ما أقول لك، فأرسل إليهما. فأتاه ابن الزبير، فنعى إليه معاوية وسأله البيعة، فقال: ومثلي يبايع هنا؟ أرق المنبر، وأنا أبايعك مع الناس

(١) أخبار الحمقى والمغفّلين، لابن الجوزي ج١ ص١٠٣، الحكم الجديرة بالإذاعة، للسلامي البغدادي ج١ ص٢٦ .

علانية، فوثب مروان وقال: اضرب عنقه، فإنّه صاحب فتنة وشرّ، فقال ابن الزبير: فإنّك لهنالك يا ابن الزرقاء؟ واستبا. فقال الوليد: أخرجهما عنّي.

وأرسل إلى الحسين، ولم يكلّمه بكلمة في شيء، وخرجا من عنده. وجعل الوليد عليهما الرصد، فلمّا دنا الصبح خرجا مسرعين إلى مكّة فالتقيا بها، فقال له ابن الزبير: ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك؟ فوالله لو أنّ لي مثله لذهبت إليهم.

فهذا ما صحّ.

وذكر المؤرّخون أنّ كتب أهل الكوفة وردت على الحسين، وأنّه أرسل مسلم بن عقيل ـ ابن عمّه ـ إليهم ليأخذ عليهم البيعة، وينظر هو في أتباعه، فنهاه ابن عبّاس وأعلمه أنّهم خذلوا أباه وأخاه، وأشار عليه ابن الزبير بالخروج فخرج، فلم يبلغ الكوفة إلاّ مسلم بن عقيل قد قتل وأسلمه من كان استدعاه، ويكفيك بهذا عظة لمن اتّعظ.

فتمادى واستمر غضباً للدين وقياماً بالحقّ، ولكنّه لم يقبل نصيحة أعلم أهل زمانه ابن عبّاس، وعدل عن رأي شيخ الصحابة ابن عمر.

وطلب الابتداء في الانتهاء، والاستقامة من أهل الاعوجاج، ونضارة الشيبة في هشيم المشيخة، ليس حوله مثله، ولا له من الأنصار من يرعى

حقه، ولا من يبذل نفسه دونه، فأردنا أن نطهر الأرض من خمر يزيد، فارقنا دم الحسين، فجاءتنا مصيبة لا يجبرها سرور الدهر.

وما خرج إليه أحد إلاّ بتأويل، ولا قاتلوه إلاّ بما سمعوا من جدّه المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذّر عن الدخول في الفتن.

وأقوال في ذلك كثيرة: منها ما روى مسلم عن زياد بن علاقة، عن عرفجة بن شريح قولهﷺ: إنّه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأُمّة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان. فما خرج الناس إلاّ بهذا وأمثاله.

ولو أنّ عظيمها وابن عظيمها، وشريفها وابن شريفها الحسين يسعه بيته أو ضيعته أو إبله. ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحقّ وفي جملتهم ابن عبّاس وابن عمر لم يلتفت إليهم، وحضره ما أنذر به النبيّﷺ، وما قال في أخيه.

ورأى أنّها قد خرجت عن أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار الخلق يطلبونه، فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة، وكبار الصحابة ينهونه وينأون عنه. وما أدري في هذا إلاّ التسليم لقضاء الله، والحزن على ابن بنت رسول اللهﷺ بقية الدهر.

ولولا معرفة أشياخ الصحابة وأعيان الأُمّة بأنّه أمر صرفه الله عن

أهل البيت، وحال من الفتنة لا ينبغي لأحد أن يدخلها، ما أسلموه أبداً...»[1].

ويبدو لنا من خلال كلام ابن العربي أنّه يرتكّز على الروايات التي تقف في صف يزيد وخصوم الحسين عليه السلام!

والسؤال هنا: لماذا انحاز ابن العربي لهذه الروايات، ولم ينحز للروايات الأخرى؟!

ولماذا لم يضع مقارنة بينها وبين الروايات الأخرى من باب الموضوعية العلمية ويستخلص الحقيقة؟!

والجواب: إنّه محكوم بمعتقد.. معتقد في الصحابة يقوم على أساس الحكم بعدالتهم وعدم جواز الخوض فيما شجر بينهم من خلافات وما ووقعت بينهم من حوادث.. معتقد في الحكّام يقوم على الولاء والطاعة لهم ولو كانوا فسقة وفجاراً..

وهذا المعتقد هو الذي حكم رؤيته في حركة الإمام الحسين عليه السلام، ودفع به إلى تصوريها كحركة خروج عن الشرعية، وهو المعتقد الذي يحكم رؤية الفقهاء والرواة عموماً.

---

(١) العواصم من القواصم ص٢٢٨ ـ ٢٣٢.

ولو انحاز أحد منهم للحسين عليه السلام، لَـمَسَّ معتقده وأسقط مذهبه.

وهذا المعتقد لا أساس له شرعاً سوى عدد من الروايات التي آمنوا بصحّتها حسب قواعدهم، وهى محلّ شكّ عند المخالفين من المذاهب والتيارات الأخرى المخالفة لأهل السُنّة.

وهذه الروايات هي التي قدّموا على أساسها الخلفاء على أهل البيت عليهم السلام، وهى التي نتج على أساسها ذلك الموقف المخاصم للحسين عليه السلام.

وقد استشهد ابن العربي بقول منسوب لابن حنبل في يزيد بن معاوية، قال: «وهذا أحمد بن حنبل ـ على تقشفه وعظيم منزلته في الدين وورعه ـ قد أدخل عن يزيد بن معاوية في كتاب الزهد أنّه كان يقول في خطبته: إذا مرض أحدكم مرضاً فأشفى ثمّ تماثل، فلينظر إلى أفضل عمل عنده فيلزمه، ولينظر إلى أسوأ عمل عنده فليدعه.

وهذا يدلّ على عظيم منزلته عنده حتّى يدخله في جملة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين يقتدى بقولهم ويرعوي من وعظهم.

فأين هذا من ذكر المؤرّخين له في الخمر وأنواع الفجور؟! ألا تستحيون؟ وإذا سلبهم الله المروءة والحياء، ألا ترعوون أنتم وتزدجرون، وتقتدون بالأحبار والرهبان من فضلاء الأُمّة، وترفضون

الملحدة والمجان من المنتمين إلى الملّة، ﴿**هَـذَا بَيَـانٌ لِلنَّـاسِ وَهُـدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[١]، والحمد لله ربّ العالمين»[٢].

ويبدو أنّ ابن العربي نسى أو تناسى أنّ لابن حنبل مقولـة أُخـرى في يزيد تعد الفاصلة في أمره:

قال ابن مفلح في (الآداب الـشرعية) (ت٧٦٣هـ): «وذكـر ـ يعنـي القاضي ـ ما نقله من خط أبي حفص العكبري أسنده إلى صالح بن أحمـد [بن حنبل]: قلت لأبي: إنّ قوماً ينسبون إلى تولية يزيد؟ فقـال: يـا بنـي! وهل يتولّى يزيد أحد يؤمن بـالله؟! فقلـت: ولم لا تلعنـه؟ فقـال: ومتـى رأيتني ألعن شيئاً؟! ولم لا يلعن من لعنه الله في كتابه؟ فقلت: وأي لعـن الله يزيد في كتابه؟ فقرأ قوله تعـالى: ﴿**فَهَـلْ عَـسَيْتُمْ إِنْ تَـوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْـأَرْضِ وَتُقَطِّعُـوا أَرْحَـامَكُمْ * أُولَئِـكَ الَّـذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**﴾[٣]»[٤].

وفي (الصواعق) لابن حجر، قال: «قال الذهبي: ولمّا فعل يزيد بأهل

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٠.

(٢) العواصم من القواصم ص٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٣) سورة محمّد: الآية ٢٢.

(٤) الآداب الشرعية ج١ ص٢٩٠.

المدينة ما فعل مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات، اشتد عليه الناس وخرج عليه غير واحدٍ، ولم يبارك الله في عمره...

وبعد اتفاقهم على فسقه اختلفوا في جواز لعنه بخصوص اسمه، فأجازه قومٌ منهم ابن الجوزي ونقله عن أحمد وغيره، فإنّه قال في كتابه المسمّى بـ(الردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد):

سألني سائلٌ عن يزيد بن معاوية؟ فقلت له: يكفيه ما به. فقال: أيجوز لعنه؟ فقلت: قد أجازه العلماء الورعون منهم أحمد بن حنبلٍ، فإنّه ذكر في حقّ يزيد ما يزيد على اللعنة.

ثمّ روى ابن الجوزي عن أبي يعلى أنّه روى في كتبه المعتمدة الأصول بإسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبلٍ، قال: قلت لأبي: إنّ قوماً ينسبوننا إلى تولي يزيد؟ قال: يا بني! وهل يتولّى يزيد أحدٌ يؤمن بالله؛ ولم لا يلعن من لعنه الله في كتابه؟ فقلت: فأين لعن الله يزيد في كتابه؟ فقال: في قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**﴾، فهل يكون فسادٌ أعظم من القتل. وفي رواية: فقال: يا بنيّ ما أقول في رجلٍ لعنه الله في كتابه، وذكره؟

قال ابن الجوزي: وصنّف القاضي أبو يعلى كتاباً ذكر فيه من يستحق

اللعنة، وذكر منهم يزيد، ثمّ ذكر حديث (من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)، ولا خلاف أنّ يزيد غزا المدينة بجيش وأخاف أهلها»[1].

وقال ابن كثير في (البداية والنهاية):

«وأمّا ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيح، فإنّه قلّ من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا، فلم يخرج منها حتّى أصيب بمرض، وأكثرهم أصابهم الجنون.

وقد استدل بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى الترخيص في لعنة يزيد ابن معاوية، وهو رواية عن أحمد بن حنبل اختارها الخلال وأبو بكر عبد العزيز والقاضي أبو يعلى وابنه القاضي أبو الحسين، وانتصر لذلك أبو الفرج بن الجوزي في مصنف مفرد، وجوّز لعنته. ومنع من ذلك آخرون، وصنّفوا فيه أيضاً لئلا يجعل لعنه وسيلة إلى أبيه أو أحد من الصحابة، وحملوا ما صدر عنه من سوء التصرفات على أنّه تأوّل وأخطأ، وقالوا: إنّه كان مع ذلك إماماً فاسقاً، والإمام إذا فسق لا يعزل بمجرّد فسقه على أصحّ قولي العلماء، بل ولا يجوز الخروج عليه لما في ذلك من

(١) الصواعق المحرقة ص٢٢١ ـ ٢٢٢.

إثارة الفتنة»[١].

وجاء في (الصواعق المحرقة) لابن حجر الهيثمي في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت كفاطمة وولديها عليهم السلام:

«واعلم أنّ أهل السُنّة اختلفوا في تكفير يزيد بن معاوية، فقالت طائفة: إنّه كافر لقول سبط ابن الجوزي وغيره المشهور: أنّه لما جاء رأس الحسين جمع أهل الشام وجعل ينكت رأسه بالخيزران وينشد أبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا

الأبيات المعروفة، وزاد فيها بيتين مشتملين على صريح الكفر.

وقال ابن الجوزي فيما حكاه سبطه عنه: ليس العجب من قتال ابن زياد للحسين، وإنّما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثنايا الحسين وحمله آل رسول الله سبايا على أقتاب الجمال، وذكر أشياء من قبيح ما اشتهر عنه وردّه الرأس إلى المدينة وقد تغيّرت ريحه.

ثمّ قال: وما كان مقصوده إلاّ الفضيحة»[٢].

---

(١) البداية والنهاية ج٨ ص٢٢٠ و٢٤٥، باب يزيد بن معاوية وما جرى في أيامه.

(٢) الصواعق المحرقة ص٢٢٠ الفصل الثالث.

ونقل كلام الذهبي السابق، كما نقله ابن عليش في فتاويه المسمّاة (فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك)، باب: مسائل الردّة، أعاذنا الله.

(ثمّ قال ابن العربي):

«وانظروا إلى ابن الزبير بعد ذلك وما دخل فيه من البيعة له بمكّة، والأرض كلّها عليه، وانظروا إلى ابن عبّاس وعقله وإقباله على أمر نفسه، وانظروا إلى ابن عمر وسنّه وتسليمه للدنيا ونبذه لها.

ولو كان للقيام وجه لكان أولى بذلك ابن عبّاس، فإنّه ولدي أخيه عبيد الله قد ذكر أنّهما قتلا ظلماً، ولكن رأى بعقله أنّ دم عثمان لم يخلص إليه، فكيف بدم ولدي عبيد الله؟ وأنّ الأمر راهق، قد خرجا عنه حفظاً للأصل وهو اجتماع أمر الأُمّة وحقن دمائها وائتلاف كلمتها، ودع الأمر يتولاه أسود مجدع، حسبما أمر به صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه.

وكلّ منهم عظيم القدر مجتهد، وفيما دخل فيه مصيب مأجور، ولله فيهم حكم في الدنيا قد أنفذه، وحكم في الآخرة قد أحكمه وفرغ منه.

فاقدروا هذه الأمور مقاديرها، وانظروا بما قابلها ابن عبّاس وابن عمر فقابلوها، ولا تكونوا من السفهاء الذين يرسلون ألسنتهم

وأقلامهم بما لا فائدة لهم فيه، ولا يغني من الله ولا من دنياهم شيئا عنهم، وانظروا إلى الأئمّة الأخيار وفقهاء الأمصار، هل أقبلوا على هذه الخرافات وتكلّموا في مثل هذه الحماقات؟ بل علموا أنّها عصبيات جاهلية، وحميّة باطلة، لا تفيد إلاّ قطع الحبل بين الخلق وتشتيت الشمل واختلاف الأهواء ـ وقد كان ما كان، وقال الأخباريون ما قالوا ـ فإمّا سكوت، وإمّا اقتداء بأهل العلم، وطرح لسخافات المؤرّخيون والأدباء. والله يكمل علينا وعليكم النعماء برحمته»[1].

وابن العربي هنا يعلن هجومه الصريح على الإمام الحسين عليه السلام، ويبرّر هذا الهجوم بتبريرات واهية هي أبعد ما تكون عن العقل والفهم..

وهو يستند في هجومه على تلك الروايات التي تتحدّث عن نصح ابن الزبير، وابن عبّاس، وابن عمر، للحسين عليه السلام، وهي روايات إلى الاختلاق أقرب، كما ذكرنا سابقاً.

وعدّ الذين لا يلتزمون بقوله هم من السفهاء، ودعا المسلمين إلى تبنّي موقف فقهاء الأمصار ممّن ساروا في ركاب بني أُميّة وبني العبّاس

(١) العواصم من القواصم ص٢٣٣ ـ ٢٣٤.

وخاصموا الحسين عليه السلام، والذين يستمد قوّته منهم!

وغاب عن ابن العربي أنّ هؤلاء الفقهاء لا يمثلون الأُمّة، وإنّما فرضوا عليها من قبل الحكّام ليحلّوا مكان أهل البيت عليهم السلام.

(قال المحقّق):

«يروي المسعودي: أنّ ابن زياد قال لقاتل الحسين: أنّه كان خير الناس أُمّا وأبا، وخير عباد الله، فلم قتلته؟ ثمّ أمر بضرب عنقه. مروج الذهب ج٣/ ١٤١.

وذكر الطبري: أنّه لمّا دخل على ابن زياد عشاء آل الحسين: أمر لهم بمنزل، وأجرى عليهم رزقاً، وأمر لهم بنفقة وكسوة. ثمّ سيرهم إلى يزيد...

ولعلّ من الدلائل على ذلك ما رواه الطبري وابن قتيبة معاً من استمرار الصِلاة الحسنة، والمكاتبات بين يزيد وعليّ بن الحسين، وما كان من موقف هذا إبان ثورة المدينة، حيث رووا أنّه لا عليّ ولا أقاربه اشتركوا في هذه الحركة، وأنّ يزيد وصّى قائد جيشه وأمره بأن يدني مجلسه، وأن يبلغه أنّه وصل إليه كتابه، وأنّ هؤلاء الخبثاء شغلوه عنه، وأنّ القائد رحبّ به وأجلسه على السرير وبلّغه رسالة يزيد. تأريخ الطبري ج٤ ص٣٧٩ والإمامة والسياسة ج١ ص٢٠٠.

فأين هذه المعاملة الحسنة من افتراء المفترين بسبي أهل البيت وحملهم على الجمال بلا أقتاب بعد استشهاد الحسين؟! فهذا من الكذاب الواضح.

ما استحلت أُمّة محمّدﷺ سبي هاشمية، وإنّما قاتلوا الحسين خوفاً منه، ومن أن يزيل عنهم الملك، فلمّا استشهد فرغ الأمر وبعث بآله إلى المدينة. ولكن جهل الرافضة إليه المنتهي.

ولا ريب أنّ قتل الحسين من أعظم الذنوب، وفاعله والراضي به مستحقّ للعذاب، لكن ليس قتله بأعظم من قتل أبيه، ولا قتل زوج أخته عمر، وقتل زوج خالته عثمان»[1].

والمحقّق هنا يستنجد بالروايات التي تنصف يزيد وتبيّض وجه قتلة الحسينعليه السلام!

ولم يتجه للروايات الأخرى التي ذكرها الطبري وعرضنا أمثلة منها: التي ذكرها ابن قتيبة أيضاً وهوجم بسببها من قبلهم، والتي ذكرها المسعودي في (مروج الذهب)، واليعقوبي في تاريخه، وابن قتيبة في

(١) العواصم من القواصم، تح محب الدين الخطيب/محمود مهدي الإستانبولي ص٢٤١.

(الإمامة والسياسة)، وهذه المصادر غير معتمدة عند الوهابيين ويشكّكون فيها، لكنّهم يلجأون إليها وينتقون منها ما يدعم رؤيتهم حين يحاصرون بالحجج والبراهين.

ويبدو الارتباك في كلام المحقّق ووقوعه في التناقض، حيث اعترف بأنّ قتلة الحسين عليه السلام خافوا أن يزيل ملكهم، وهو ما يشير إلى أنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام كانت ثورة تهدف لخلع يزيد وإسقاط ملك بني أُميّة. وهو ما يعني أيضاً التشكيك في شرعيتهم.

ومن جهة أخرى: هذا الاعتراف يضرب الروايات التي تصوّر الحسين عليه السلام كخارج عن الجماعة ويشقّ وحدة الأُمّة، والتي استند عليها خصوم الحسين عليه السلام، ولم تكن هناك وحدة من الأصل.

وذكر المحقّق: أنّ قتل الحسين من أعظم الذنوب، وفاعلة والراضي به مستحقّ للعذاب.

ومادام قتل الحسين عليه السلام من أعظم الذنوب، فإنّ هذه الذنوب تعمّ كلّ من قاتله وخاصمه، وتدخلهم جميعهم في دائرة الإثم. وهو ما يضفي المشروعية على الإمام الحسين عليه السلام وحركته، ويسحب المشروعية من خصومه وقتلته. والفضل ما شهدت به الأعداء.

(هل يزيد مسؤول عن مقتل الحسين عليه السلام؟)

وتحت هذا العنوان استنجد المحقّق بمؤرّخ فلسطيني معتمد عند الوهابيين، وهو محمّد عزة دروزة.

«قال دروزه: ممّا سبق ندرك أنّه ليس هناك ما يبرر نسبة قتل الحسين إلى يزيد، فهو لم يأمر بقتاله، فضلاً عن قتله، وكلّ ما أمر به أن يحاط به ولا يقاتل إلاّ إذا قاتل، ومثل هذا القول يصحّ بالنسبة لعبيد الله بن زياد، فكلّ ما أمر به أن يحاط به ولا يقاتل إلا إذا قاتل، وأن يؤتى به إليه ليضع يده في يده، أو يبايع يزيد صاحب البيعة الشرعية، بل إنّ هذا ليصحّ قوله بالنسبة لأمراء القوّات التي جرى بينها وبين الحسين وجماعته قتال، فإنّهم ظلوا ملتزمين ما أمروا به، بل كانوا يرغبون أشدّ الرغبة في أن يعاقبهم الله من الابتلاء بقتاله، فضلاً عن قتله، ويبذلون جهدهم في إقناعه بالنزول على حكم ابن زياد ومبايعة يزيد، **(فإذا كان الحسين أبي أن يستسلم ليدخل فيما دخل فيه المسلمون وقام بالقوة، فمقابلته وقتاله صار من الوجهة الشرعية والوجهة السياسية سائغاً)**.

وقد يقول قائل: ألم يكن من الواجب على يزيد، وبالتالي على ابن زياد أن يقبل من الحسين قبول أحد شروطه الثلاثة العادلة التي عرضها عليه، وهي أن يترك ليعود من حيث أتى، أو يذهب إلى يزيد، أو يرسل إلى

الثغور. يذكر بعضهم أنّ هذه الشروط والمطالب من الحسين ليس لها أساس من الصحّة...

وهذا الطلب من الحسين لا يمكن قبوله لمن أوتي أقلّ نصيب من السياسة والتفكير، خيفة أن يقوم الحسين بتحريض شيعته في الأمصار، فتندلع الثورات والفتن.

ونرى لو أنّ عبيد الله بن زياد وصحبه حاصروا الحسين وجماعته وأحاطوهم بصنوف العناية والرعاية، وقدّموا لهم ما يشتهون، وتذكّروا أمر الصلح ريثما تهدأ ثائرة الحسين لكان خيراً، وذلك كان ممكناً ما داموا قلّة لا يزيدون على مئة، فلا يقاتلونهم، ولو قاتلوا على أن تنزع منهم أسلحتهم بمختلف الأساليب، ولكن أمر الله كان قدراً مقدوراً، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

نسأل الله سبحانه أن يهدي هؤلاء الذين يجدّدون ذكرى هذه الكارثة من عام إلى آخر، وما يهلكون إلاّ أنفسهم في الدنيا قبل الآخرة وهم لا يشعرون. وخاصّة وأنّ الأمويين قد زالوا، ولكن قبح الله اليهودية والشعوبية فإنّهما لا تزالن تعيثان فساداً في النفوس، لتحارب الإسلام والمسلمين باسم نصرة آل البيت كذباً وزوراً.

وختماً لهذا الموضوع الخطير نقول كما قال المؤرّخ المحقّق عزة دروزة

بعدما نقل بعض ما ذكرناه في هذا البحث: ونشهد الله على أنّنا لم نكتب ما كتبناه عن هوى أو بغض للحسين(رضي الله تعالى عنه وآل بيته)، وعلى أنّنا نكن لهم أشدّ الاحترام والمحبّة لصلتهم الشريفة برسول الله صلى الله عليه وآله.

ولكنّنا كمؤرّخين لا يسعنا أن نكتب غير ذلك، إذا أردنا أن نلتزم المنطق والإنصاف والحقّ، لأنّ الروايات التي تطمئن بها النفس لا تسمح بغيره.

ولم ننفرد بهذه النتائج التي استنتجناها من الروايات، فهناك كثيرون غيرنا يشاركوننا فيها، بل وإنّه ليشاركنا فيها كلّ منصف متجرّد عن الهوى من المسلمين على اختلاف طوائفهم»[1].

وكلام دروزة والمحقّق لا يخرج عن كلام ابن العربي وتبريراته الواهية التي تدين الإمام الحسين عليه السلام وتنصف خصومه، ويسير وفق منظومة ابن تيمية التبريرية والعدوانية تجاه أهل البيت والحسين عليهم السلام خاصّة!

والسؤال هنا: هل حقّاً التزم المؤرّخون المنطق والإنصاف والحقّ؟! أم

(١) العواصم من القواصم تح محب الدين الخطيب/محمود مهدي الإستانبولي ص٢٤٢ ـ ٢٤٣.

التزموا عقيدتهم ومذهبهم الذي يدفع بهم إلى مخاصمة الحسين عليه السلام ؟!

(وختم المحقّق تعليقاته بقوله):

«ونورد هنا قولين في ذلك: أحدهما لابن تيمية في منهاج السُنّة، والثاني للمؤرّخ المحقّق الشيخ محمّد الخضري في كتابه محاضرات في تأريخ الأُمم الإسلامية.

وقد أورد ابن تيمية خبر ما تلقّاه الحسين من نصائح كثيرة بعدم الخروج والتحذير من العواقب، ثمّ قال: إنّه لم يكن في الخروج مصلحة لا في دين ولا في دنيا، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يحصل لو قعد في بلده، فإنّ ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشرّ لم يحصل منه شيء، بل زاد الشرّ بخروجه وقتله، ونقص الخير بذلك، وصار سبباً لشرّ عظيم، وكان قتل الحسين ممّا أوجب الفتن»[1].

كلام ابن تيمية هنا ليس كلاماً علمياً حتّى يمكن مناقشته والردّ عليه، وإنّما هو كلام يكشف نفسيته العدوانية المريضة المخاصمة للحسين وأهل البيت عليهم السلام، وهى النفسية التي ورثها عنه بدو جزيرة العرب من الوهابيين، والذين أورثوها بدورهم للفرق السلفية المعاصرة، وتبنّاها

(١) العواصم من القواصم ص٢٤٣ ـ ٢٤٤، وانظر: منهاج السُنّة لابن تيمية ٤: ٥٣٠.

العديد من أصحاب التراكيب المريضة من الكتاب والباحثين، أمثال الخطيب، وغازي، والإستانبولي، ودروزة والخضري، وغيرهم.

«أمّا الشيخ الخضري فإنّه علّق على أحاديث قتل الحسين قائلاً:

وعلى الجملة أنّ الحسين أخطأ خطأ عظيماً في خروجه هذا الذي جرّ على الأُمّة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد الفتها إلى يومنا هذا.

وقد أكثر الناس من الكتابة في هذه الأحاديث لا يريدون بذلك إلاّ أن تشتعل النيران في القلوب فيشتد تباعدها. وغاية ما في الأمر أنّ الرجل طلب أمراً لم يتهيأ له، ولم يعد له عدته، فحيل بينه وبين ما يشتهي وقتل دونه، وقبل ذلك قتل أبوه فلم يجد من أقلام الكاتبين من يبشع أمر قتله، ويزيدون نار العداوة تأجيجاً.

والحسين قد خالف يزيد، وقد بايعه الناس، ولم يظهر عنه ذلك الجور ولا العسف عند إظهار الخلاف، حتّى يكون في الخروج مصلحة للأُمّة...

ولا أدري سبباً يعقل لتضخيم هذه المصيبة على الرغم من فداحتها بعد زوال الأمويين وملكهم؟ فهي مهما كان من أمرها لا تعدّ شيئاً مذكوراً بجانب المصيبة باستشهاد الخلفاء عمر وعثمان وعليّ(رضي الله عنهم)، فلماذا لا يقيمون عليهم ـ إذا كانوا مخلصين للإسلام ـ كلّ عام

مآتماً وعويلاً، بعرفهم في تجديد المصيبة وإحياء ذكرها؟

ولا أدري أيضاً كيف يصحّ إقامة مثل هذه المآتم، وقد جاء النهي في أحاديث كثيرة عن الصياح وشقّ الجيوب ولطم الخدود، وغير ذلك من العادات الجاهلية؟

ولكن لعن الله السياسة، كيف تضلّل أصحابها وتسبب لهم العذاب في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾[1].

والحسين كان مجتهداً فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، وكان يجدر ببني أُميّة أن يحترموا سلامة نيّته ونبالة قصده، ويحيطوه بأنواع الرعاية والعناية على الرغم من محاربته لهم، فإنّه لا خطر منه ما دامت جماعه قلّة، وذلك ريثما يتم الاتفاق وينتهي معه إلى سلم، ولكن تسرّعهم سبب لهم وللعالم الإسلامي النكبات، فإنّا لله وإنا إلينا راجعون»[2].

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٣ ـ ١٤.

(٢) العواصم من القواصم ٢٤٤ ــ ٢٤٥، وانظر: محضرات تاريخ الأُمم الإسلامية للخضري ص ٤٦٠.

وكلام الخضري هذا ليس جديداً وإنّما هو امتداد لكلام ابن العربي، وابن تيمية! وليس من المقبول أن يطالب الخضري بكسر أقلام الأحرار من عقلاء الأُمّة على مستوى الماضي والحاضر، الذين صدعوا بالحقّ في وجه الطغاة، وأهل الكذب والتزوير من الرواة والفقهاء، الذين ضلّلوا المسلمين عن حقيقة أهل البيت عليهم السلام ودورهم ومكانتهم، وحقيقة حركة الإمام الحسين عليه السلام. وليس من حقّه أن يكمم أفواه المسلمين ويمنع صرخات المظلومين الذين وجدوا في حركة الحسين عليه السلام متنفساً ودافعاً لمقاومة الظلم والفساد.

وقد كشف لنا المحقّق سطحيته، حين قال أنّه لا يجد سبباً لإحياء ذكرى كربلاء وما جرى للحسين عليه السلام وأبناء الرسول رغم اعترافه بفداحة المصيبة؟ وكيف له أن يقول بهذا وهو يعترف بفداحة ما جرى؟! وكأنّ الأمر في نظره هو مجرّد صدام عابر مع حكومة بني أُميّة، كان يجب أن ينتهي ويمحى من ذاكرة الأُمّة! ولم يكن صداماً بين نهجين:

نهج الإسلام بزعامة الإمام الحسين عليه السلام.

ونهج بنو أُميّة بزعامة يزيد.

وكأنّه يريد أن يمحوا من ذاكرة الأُمّة تلك النبوءات والنصوص الواردة على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله بخصوص الحسين وأهل البيت عليهم السلام، وهو

قد عد مصيبة الحسين عليه السلام لا وزن لها أمام مصيبة الخلفاء الثلاثة!

وهنا يبرز لنا معتقده الذي ينصّ على تقديم أبو بكر وعمر وعثمان على أهل البيت عليهم السلام، والإمام والحسين عليه السلام خاصّة! وعلى أساسه عدّ مصيبة عمر وعثمان وعليّ عليه السلام أهم من مصيبة الحسين عليه السلام.

وذكر مصيبة الإمام عليّ عليه السلام هنا من باب ذر الرماد في العيون! والحقيقة أنّ معتقد أهل السُنّة لا يهتم بعليّ عليه السلام من الأصل، ويعد قاتله متأوّلاً، كما ذكر ابن حزم في (المحلّي)، بينما نرى التركيز على مصرع عمر وعثمان هو الأكبر، وهو ما نراه بوضوح من خلال رواية البخاري في المناقب عن ابن عمر: «كنّا نخير بين الناس في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله، فنخير أبا بكرٍ، ثمّ عمر بن الخطّاب، ثمّ عثمان بن عفّان»[1]، وفي رواية أخرى لابن حبّان عن ابن عمر قال: «كنّا نفاضل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله: أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ نسكت»[2]. وهي رواية مشهورة في كتب السُنن.

وإذا كان أهل السُنّة لا يهتمون بعليّ عليه السلام، فهل سوف يهتمون بالحسين عليه السلام؟! وليس مثل الخضري أو غيره يمكنه أن يتجاوز حدود

(١) صحيح البخاري ج٤ ص١٩١.

(٢) صحيح ابن حبّان ج١٦ ص٢٣٨.

معتقده وينصف الإمام الحسين عليه السلام.

ومن الطريف أنّ يعتبر الإمام الحسين عليه السلام من المجتهدين! وكيف يكون من المجتهدين وهو يعد في منظورهم من الخارجين عن الطاعة والجماعة؟!! والأكثر طرافة أنّ المحقّق وجّه النقد واللوم لبني أُميّة، وقرّر أنّ تسرعهم في قتل الإمام الحسين عليه السلام سبّب لهم وللعالم الإسلامي النكبات!

(وقال المحقّق):

«وخلاصة القول في يزيد بن معاوية: اختلف الناس فيه ـ كما قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى، فصلٌ افترق الناس في يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثلاث فرقٍ: طرفان ووسطٌ.

فأحد الطرفين قالوا: إنّه كان كافراً منافقاً..

[وأنّه سعى في قتل سبط رسول الله تشفياً من رسول الله صلى الله عليه وآله، وانتقاماً منه، وأخذاً بثأر جدّه عتبة، وأخي جدّه شيبة، وخاله الوليد بن عتبة، وغيرهم ممن قتلهم أصحاب النبيّ بيد عليّ بن أبي طالبٍ، وغيره يوم بدرٍ وغيرها. وقالوا: تلك أحقاد بدريّة وآثار جاهلية وأنشدوا عنه:

لمّا بدت تلك الحمول وأشرفت تلك الرؤوس على ربّي جيرون

نعق الغراب فقلت نح أو لا تنح فلقد قضيت من النبِيّ ديوني

وقالوا: إنّه تمثل بشعر ابن الزبعرى الذي أنشده يوم أحدٍ:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

قد قتلنا الكثير من أشياخهم وعدلناه ببدر فاعتدل

وأشياء من هذا النمط]

وهذا القول سهلٌ على الرافضة الذين يكفرون أبا بكرٍ وعمر وعثمان، فتكفير يزيد أسهل بكثير.

والطرف الثاني: يظنّون أنّه كان رجلاً صالحاً وإمامٌ عدلٌ، وأنّه كان من الصحابة الذين ولدوا على عهد النبيّ ص وحمله على يديه وبرك عليه، [وربّما فضله بعضهم على أبي بكرٍ وعمر].

والقول الثالث: أنّه كان ملكاً من ملوك المسلمين له حسناتٌ وسيئاتٌ، ولم يولد إلاّ في خلافة عثمان، ولم يكن كافراً، ولكن جرى بسببه ما جرى من مصرع الحسين، [وفعل ما فعل بأهل الحرة ولم يكن صاحباً ولا من أولياء الله الصالحين]، وهذا قول عامّة أهل العقل والعلم والسُنّة والجماعة.

ثمّ افترقوا ثلاث فرقٍ: فرقةٌ لعنته، وفرقةٌ أحبّته، وفرقةٌ لا تسبّه ولا تحبّه. وهذا هو المنصوص عن الإمام أحمد، وعليه المقتصدون من أصحابه وغيرهم [من جميع المسلمين.

قال صالح بن أحمد: قلت لأبي: إنّ قوماً يقولون: إنّهم يحبّـون يزيـد؟ فقال: يا بني! وهل يحبّ يزيد أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر؟ فقلـت: يـا أبت فلماذا لا تلعنه؟ فقال: يا بني ومتى رأيت أباك يلعن أحداً.

وقال مهنا: سألت أحمد عن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان؟ فقال: هو الذي فعل بالمدينة ما فعل. قلت: وما فعـل؟ قـال: قتـل مـن أصـحاب رسول اللهﷺ وفعل. قلت: وما فعـل؟ قـال: نهبهـا. قلـت: فيـذكر عنـه الحديث؟ قال: لا يذكر عنـه حـديثٌ. وهكـذا ذكـر القـاضي أبـو يعـلى وغيره.

وقال أبو محمّد المقدسي لمّا سئل عن يزيـد: فـيما بلغنـي لا يـسبّ ولا يحبّ، وبلغني أيضاً أنّ جدّنا أبا عبد الله ابن تيمية سئل عن يزيد، فقـال: لا تنقص ولا تزد. وهذا أعدل الأقوال فيه وفي أمثاله وأحسنها.

أمّا ترك سبّه ولعنته فبناءً على أنّه لم يثبت فسقه الذي يقتضي لعنـه، أو بناءً على أنّ الفاسق المعين لا يلعن بخصوصه، إمّا تحريماً، وإمّا تنزيهاً...

وأمّا الـذين لعنـوه مـن العلـماء، كـأبي الفـرج بـن الجـوزي، وإلكيـا الهراسي، وغيرهما: فلمّا صدر عنه من الأفعال التي تبـيح لعنتـه، ثـمّ قـد يقولون هو فاسقٌ وكلّ فاسقٍ يلعن...

وأمّـا الـذين سـوّغوا محبّتـه أو أحبّـوه، كـالغزالي، والدسـتي، فلهـم

مأخذان:

أحدهما: أنّه مسلمٌ ولي أمر الأُمّة على عهد الصحابة وتابعه بقاياهم، وكانت فيه خصالٌ محمودةٌ، وكان متأوّلاً فيما ينكر عليه من أمر الحرّة، وغيره، فيقولون: هو مجتهدٌ مخطئٌ، ويقولون: إنّ أهل الحرّة هم نقضوا بيعته أوّلاً. وأنكر ذلك عليهم ابن عمر وغيره.

وأمّا قتل الحسين فلم يأمر به، ولم يرض به، بل ظهر منه التألّم لقتله، وذمّ من قتله، ولم يحمل الرأس إليه، وإنّما حمل إلى ابن زيادٍ.

والمأخذ الثاني: أنّه قد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (أوّل جيشٍ يغزو القسطنطينية مغفورٌ له)، وأوّل جيشٍ غزاها كان أميره يزيد.

والتحقيق: أنّ هذين القولين يسوّغ فيهما الاجتهاد، فإنّ اللعنة لمن يعمل المعاصي ممّا يسوغ فيها الاجتهاد، وكذلك محبّة من يعمل حسناتٍ وسيئاتٍ، بل لا يتنافى عندنا أنّ يجتمع في الرجل الحمد والذمّ والثواب والعقاب، كذلك لا يتنافى أن يصلّى عليه ويُدعى له، وأن يلعن ويشتم أيضاً باعتبار وجهين.

فإنّ أهل السُنّة: متّفقون على أنّ فسّاق أهل الملّة ـ وإن دخلوا النار أو استحقّوا دخولها فإنّهم ـ لا بدّ أن يدخلوا الجنّة فيجتمع فيهم الثواب

والعقاب، ولكن الخوارج والمعتزلة تنكر ذلك وترى أنّ من استحق الثواب لا يستحق العقاب، ومن استحق العقاب لا يستحق الثواب]»[1].

وقد ذكر المحقّق كلام ابن تيمية مختصراً، وذكرناه هنا كاملاً من باب زيادة الفائدة، وابن تيمية هنا أضاف لنا فوق ما سبق ذكره جانب الذين أحبّوا يزيد وأوّلوا جرائمه ومنكراته وعدوّه مجتهداً مخطئاً، وأضافوا له منقبة استناداً لرواية البخاري حول غزو القسطنطينية تحت إمرته، وهو ما سوف نناقشه هنا:

ـ (روى ابن الأثير في حوادث سنة تسع وأربعين ذكر غزوة القسطنطينية): «في هذه السنة، وقيل: سنة خمسين، سير معاوية جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم للغزاة، وجعل عليهم سفيان بن عوف، وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم، فتثاقل واعتلّ، فأمسك عنه أبوه، فأصاب الناس في غزاتهم جوعٌ ومرض شديد، فأنشأ يزيد يقول:

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم بالفرقدونة من حمى ومن موم

(١) العواصم من القواصم ص٢٤٦. وانظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ج٤ ص٤٨١ ـ ٤٨٦.

إذا اتكأت على الأنماط مرتفقاً بدير مروان عندي أُمّ كلثوم

وأمّ كلثوم امرأته، وهي ابنة عبد الله بن عامر.

فبلغ معاوية شعره، فأقسم عليه ليلحقن بسفيان في أرض الروم ليصيبه ما أصاب الناس، فسار ومعه جمع كثير أضافهم إليه أبوه، وكان في الجيش ابن عبّاس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري وعبد العزيز ابن زرارة الكلابي وغيرهم، فأوغلوا في بلاد الروم حتّى بلغوا القسطنطينية، فاقتتل المسلمون والروم في بعض الأيام واشتدت الحرب بينهم، فلم يزل عبد العزيز يتعرّض للشهادة فلم يقتل...

ثمّ حمل على من يليه فقتل فيهم وانغمس بينهم، فشجره الروم برماحهم حتّى قتلوه، رحمه الله...

ثمّ رجع يزيد والجيش إلى الشام، وقد توفي أبو أيوب الأنصاري عند القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها، فأهلها يستسقون به، وكان قد شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وشهد صفّين مع عليّ وغيرها من حروبه»[1].

(١) الكامل في التاريخ ج٣ ص٤٥٨ ـ ٤٥٩.

وروى ابن عساكر نفس الرواية في (تـأريخ دمـشق)[١]، وابـن تغـري بردي في (النجوم الزاهرة في ملـوك مـصر والقـاهرة ولايـة مـسلمة بـن مخلد)[٢].

ونخرج من هذه الرواية بما يلي:

أوّلاً: أنّ قائد جيش الذي عيّنه معاوية هو سفيان بن عوف، ثمّ ألحق به ولده يزيد، وهو ما يعني أنّ يزيد كان تحت إمرة سفيان.

ثانياً: أنّ يزيد تثاقل وادعـى المـرض، فتراجـع معاويـة عـن إرسـاله للغزو.

ثالثاً: أنّ يزيد أعرب عن عدم اهتمامه بالغزو، وأنشد شعراً، وأعـرب عن عدم مبالاته بما أصاب الجيش من المـرض والجـوع، وأنّ زوجتـه أُمّ كلثوم التي كانت بصحبته بدير مروان أهم من الجيش والغزو.

رابعاً: أنّ معاوية لمّا بلغه شـعر يزيـد غـضب وأقـسم عليـه لـيلحقنّ بسفيان بن عوف في أرض الروم.

خامساً: أنّ الرواية رصدت دور عبد العزيز ابـن زرارة الكـلابي، ولم

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٦٥ ص٤٠٥ ـ ٤٠٦.

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج١ ص١.

تشر لأي دور ليزيد في ساحة القتال.

ـ وجاء في (المختصر في أخبار البشر): «ثمّ دخلت سنة ثمان وأربعين غزوة القسطنطينية في هذه السنة، أعني سنة ثمان وأربعين، صير معاوية جيشاً كثيفاً مع سفيان ابن عوف إلى القسطنطينية، فأوغلوا في بلاد الروم، وحاصروا القسطنطينية، وكان في ذلك الجيش ابن عبّاس، وعمرو بن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري»[1].

ولا ذكر ليزيد في هذه الغزوة!

وإذا كانت هذه الغزوة تسبق غزوة يزيد، فهذا يعني بطلان مقولة: أنّ أوّل جيشٍ غزاها كان أميره يزيد، وهذه النتائج تبطل رواية البخاري.

والجدير بالذكر هنا: أنّ الروم انتزعوا القسطنطينية من المسلمين بعد ذلك، ودارت معارك مع الروم لاستردادها من جديد، وسقطت بعد ذلك على يد السلطان محمّد خان فاتح القسطنطينية ابن السلطان مراد خان سنة ١٤٥٣م.

وقد قرّر ابن تيمية وفق معتقد أهل السُنّة في أصحاب الكبائر والمعاصي أنّ من الممكن أن يجتمع في الرجل الحمد والذمّ والثواب

(١) المختصر في أخبار تاريخ البشر لأبي الفداء ج١ ص١٨٦ ذكر غزوة القسطنطينية.

والعقاب، كذلك لا يتنافى أن يصلّى عليه ويدعى له، وأن يلعن ويشتم أيضاً باعتبار وجهين!

وإنّ أهل السُنّة متّفقون على أنّ فساق أهل الملّة ـ وإن دخلوا النار أو استحقّوا دخولها فإنّهم ـ لا بدّ أن يدخلوا الجنّة فيجتمع فيهم الثواب والعقاب!

وهذا كلّه الهدف منه تبرئة يزيد وإنقاذه من النار!!

ملحق (٢)

نماذج من المصادر التي ذكرت سبي أبناء الرسول صلى الله عليه وآله ونكت يزيد رأس الحسين عليه السلام

جاء في (الأخبار الطوال) لابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ):

«وأمر عمر بن سعد بحمل نساء الحسين وأخواته وبناته وجواريه وحشمه في المحامل المستورة على الإبل. وكانت بين وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وبين قتل الحسين خمسون عاماً»[1].

وروى تحت عنوان (دخول السبايا على يزيد): «قالوا: ثمّ إنّ ابن زياد جهّز عليّ بن الحسين ومن كان معه من الحرم، ووجّه بهم إلى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس ومحقن بن ثعلبة، وشمر بن ذي الجوشن، فساروا حتّى قدموا الشام، ودخلوا على يزيد بن معاوية بمدينة دمشق، وأدخل معهم رأس الحسين، فرمى بين يديه.

ثمّ تكلّم شمر بن ذي الجوشن، فقال: يا أمير المؤمنين! ورد علينا هذا

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٥٩ حمل السبايا إلى ابن زياد.

في ثمانية عشر رجلاً من أهل بيته، وستّين رجلاً من شيعته، فصرنا إليهم، فسألناهم النزول على حكم أميرنا عبيد الله بن زياد، أو القتال، فغدونا عليهم عند شروق الشمس، فأحطنا بهم من كلّ جانب، فلمّا أخذت السيوف منهم مأخذها، جعلوا يلوذون إلى غير وزر، لوذان الحمام من الصقور، فما كان إلاّ مقدار جزر جزوز، أو نوم قائل، حتّى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجرّدة، وثيابهم مرمّلة، وخدودهم معفرة»[1].

وجاء في (المنتظم في تاريخ الملوك) لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ):

«ولمّا جلس يزيد، وضع الرأس بين يديه، وجعل ينكت بالقضيب على فيه ويقول:

يفلقن هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

فقال أبو برزة وكان حاضراً: ارفع قضيبك فوالله لرأيت فاه رسول الله ﷺ على فيه يلثمه...

(وروى) عن علي بن محمّد، عن خالد بن يزيد بن بشر السكسكي، عن أبيه، عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، قال: قدم برأس الحسين فلمّا

(١) الأخبار الطوال ص ٢٦٠ ـ ٢٦١.

وضع بين يدي يزيد ضربه بقضيب كان في يده ثمّ قال:

يفلقن هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

(وروى) عن مجاهد، قال: جيء برأس الحسين بن عليّ فوضع بين يدي يزيد بن معاوية، فتمثل بهذين البيتين يقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

(وروى) حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدّثني عمّي مصعب بن عبد الله، قال: كان عليّ بن الحسين الأصغر مع أُمّه وهو يومئذ ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضاً، فلمّا قتل الحسين، قال: عمرو بن سعد: لا تعرضوا لهذا المريض. قال عليّ بن الحسين: فغيبني رجل منهم فأكرم منزلي واختصني، وجعل يبكي كلّما دخل وخرج، حتّى كنت أقول: إن يكن عند أحد خير فعند هذا. إلى أن نادى منادي عبيد الله بن زياد: ألا من وجد عليّ بن الحسين فليأت به فقد جعلنا فيه ثلثمائة درهم، قال: فدخل عليَّ والله وهو يبكي، وجعل يربط يدي إلى عنقي، ويقول: أخاف. وأخرجني إليهم مربوطاً حتّى دفعني إليهم وأخذ ثلثمائة درهم، وأنا أنظر، وأدخلت على ابن زياد، فقال: ما اسمك؟ فقلت: عليّ بن الحسين، فقال: أولم يقتل الله عليّاً؟! قلت: كان أخي يقال له علي أكبر منّي قتله الناس، قال: بل الله قتله، قلت: الله يتوفّى الأنفس حين موتها.

فأمر بقتله، فصاحت زينب بنت عليّ: يا ابن زياد حسبك من دمائنا، أسألك بالله إن قتلته إلاّ قتلتني معه، فتركه، فلمّا صار إلى يزيد بن معاوية، قام رجل من أهل الشام، فقال: سباياهم لنا حلال، فقال عليّ ابن الحسين: كذبت ما ذلك لك إلاّ أن تخرج من ملّتنا»[1].

وجاء في (مرآة الجنان) لليافعي (ت٧٦٨هـ):

«استشهد فيها يوم عاشوراء ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطه وسلالة النبوّة، مقرّ المحاسن والمناقب والفتوة، أبو عبد الله الحسين بن عليّ بكربلاء، وعمره خمس وستّون سنة، وكان قد أنف من إمرة يزيد بن معاوية، فلم يبايعه...

وقتل معه ولداه علي الأكبر وعبد الله، وإخوته جعفر ومحمّد وعتيق والعبّاس الكبير، وابن أخيه قاسم بن الحسن، وأولاد عمّه محمّد وعون، وابنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وابناه عبد الله وعبد الرحمن، فإنّا لله وإنا إليه راجعون...

وقتل معه اثنان وثمانون من أصحابه مبارزة، ثمّ قتل جميع بنيه إلاّ عليّ

(١) المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ج٥ ص٣٤٢ ـ ٣٤٥.

ابن الحسين المعروف بـ(زين العابدين)، فإنّه كان مريضاً وأخذ أسيراً بعد قتل أبيه، وقتل أكثر إخوة الحسين وأقاربه، وفيهم يقول القائل:

عيني أبكي بعبرة وعويل أو اندبي إن ندبت آل رسول

سبعة كلّهم لصلب علي قد أصيبوا وستّة لعقيل

ورووا عن جعفر الصادق: أنّه وجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة.

واختلفوا في قاتله (رضي الله تعالى عنه) اختلافاً كثيراً، وذكر بعضهم: أنّه قتل معه من أولاد فاطمة(رضي الله تعالى عنها) سبعة عشر رجلاً...

وذكر القرطبي في كتاب التذكرة: عن أحمد بن حنبل، أنّه قال: حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدّثنا حمّاد بن سلمة، عن عمّار بن أبي عمّار، عن ابن عبّاس، قال: رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله نصف النهار أشعث أغبر، ومعه قارورة فيها دم يلتقطه. قال: فقلت: يا رسول الله! ما هذا؟ قال: دم الحسين وأصحابه لم أزل أتبعه منذ اليوم. قال عمّار: فحفظنا ذلك اليوم، فوجدناه قتل في ذلك اليوم.

وأخرج الإمام أحمد أيضاً في مسنده بسنده إلى أنس: أنّ مالك المطر استأذن أن يأتي لرسول الله صلى الله عليه وآله فأذن له، فقال لأمّ سلمة: املكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد. قال: وجاءه الحسين ليدخل فمنعته، فوثب

فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبيّ ﷺ وعلى منكبيه وعلى عاتقه. قال: فقال الملك: للنبيّ: أتحبّه؟ قال: نعم، قال: أما أنّ أُمّتك ستقتله، وإن شئت لأريتك المكان الذي يقتل فيه، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء، فأخذتها أُمّ سلمة، فصيّرتها في خمارها. وقيل: وضعتها في قارورة. فلمّا قرب وقت قتل الحسين، نظرت في القارورة فإذا الطين قد استحال دماً.

ولمّا قتل الحسين وأصحابه سيقت حريمهم كما تساق الأسارى، قاتل الله فاعل ذلك، وفيهن جمع من بنات الحسين، وبنات عليّ رضي الله عنهما وعن الجميع ومعهنّ زين العابدين مريضاً.

روي أنّه لمّا قتل السادة الأخيار، مال الفجرة الأشرار إلى خيام الحريم المصؤنة، وهكتوا الأستار. فقال بعض من حضر: ويلكم إن لم تكونوا أتقياء في دينكم، فكونوا أحراراً في دنياكم. وذكروا مع ذلك ما يعظم من الزندقة والفجور، وهو أنّ عبيد الله بن زياد أمر أن يقور الرأس المشرّف المكرّم حتّى ينصب في الرمح، فتحامى الناس عن ذلك، فقام من بين الناس رجل يقال له: طارق بن المبارك، بل هو ابن المشؤم المذموم، فقوره ونصبه بباب المسجد الجامع، وخطب خطبة لا يحلّ ذكرها.

ثمّ دعا بزياد بن حرّ بن قيس الجعفي فسلّم إليه رأس الحسين، ورؤوس إخوته وبنيه وأصحابه، ودعا بعليّ بن الحسين، فحمله وحمل

عمّاته وأخواته إلى يزيد على محامل بغير وطاء، والناس يخرجون إلى لقائهم في كلّ بلد ومنزل، حتّى قدموا دمشق، ودخلوا من باب توما، وأقيموا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي.

ثمّ وضع الرأس المكرّم بين يدي يزيد، فأمر أن يجعل في طست من ذهب، وجعل ينظر إليه ويقول مفتخراً بما إليه من الخزي، نقل يؤول:

صبرنا وكان الصبر منّا عزيمة وأسيافنا يقطعن كفّاً ومعصما

يعلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أغرّ وأظلما

وأمر بالرأس أن يصلب بالشام..

وقد قتل الله تعالى قاتله صبراً ولقي حزناً طويلاً وذعراً، ووضع رأس الخبيث المذمّم حيث وضع رأس الحسين الطيب المكرّم... قال العلماء: وذلك مكافأة لفعله برأس الحسين، وهي من آيات العذاب الظاهرة عليه.

قلت: هذا تلخيص ما ذكروا في ذلك مختصراً.

وأمّا حكم قاتل الحسين والأمر بقتله، فمن استحلّ منها قتله فهو كافر، وإن لم يستحل ففاسق فاجر»[1].

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج١ ص١٠٦ ـ ١١٠ سنة إحدى وستّين.

وجاء في (الصواعق المحرقة) لابن حجر (ت٩٧٤هـ):

«واعلم، أنّ أهل السُنّة اختلفوا في تكفير يزيد بن معاوية وولي عهده من بعده، فقالت طائفة: إنّه كافر لقول سبط ابن الجوزي وغيره: المشهور أنّه لمّا جاء رأس الحسين(رضي الله عنه)، جمع أهل الشام وجعل ينكت رأسه بالخيزران وينشد أبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا

الأبيات المعروفة وزاد فيها بيتين مشتملين على صريح الكفر.

وقال ابن الجوزي فيما حكاه سبطه عنه: ليس العجب من قتال ابن زياد للحسين، وإنّما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثنايا الحسين وحمله آل رسول الله سبايا على أقتاب الجمال، وذكر أشياء من قبيح ما اشتهر عنه، وردّه الرأس إلى المدينة، وقد تغيّرت ريحه. ثمّ قال: وما كان مقصوده إلاّ الفضيحة، وإظهار الرأس، ولو لم يكن في قلبه أحقاد جاهلية، وأضغان بدرية، لاحترم الرأس لما وصل إليه وكفّنه ودفنه وأحسن إلى آل رسول الله...

وعلى القول بأنّه مسلم، فهو فاسق شرير سكّير جائر، كما أخبر به النبيّ، فقد أخرج أبو يعلى في مسنده بسند، لكنّه ضعيف عن أبي عبيدة، قال: قال رسول الله: (لا يزال أمر أُمّتي قائماً بالقسط حتّى يكون أوّل من

يثلمه رجل من بني أُميّة، يقال له: يزيد)، وأخرج الروياني في مسنده عن أبي ذرّ، قال: سمعت النبيّ يقول: (أوّل من يبدلّ سُنّتي رجل من بني أُميّة، يقال له: يزيد)...

وكان مع أبي هريرة علم من النبيّ بما مر عنه في يزيد، فإنّه كان يدعو: اللّهمّ إنّي أعوذ بك من رأس الستّين، وإمارة الصبيان، فاستجاب الله له وتوفّاه سنة تسع وخمسين، وكان وفاة معاوية وولاية ابنه سنة ستّين، فعلم أبو هريرة بولاية يزيد في هذه السنة فاستعاذ منها لما علمه من قبيح أحواله بواسطة إعلام الصادق المصدوق بذلك. وقال نوفل بن أبي الفرات: كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر رجل يزيد، فقال: قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فقال: تقول أمير المؤمنين؟! فأمر به فضرب عشرين سوطاً.

ولإسرافه في المعاصي خلعه أهل المدينة، فقد أخرج الواقدي من طرق أنّ عبد الله بن حنظلة بن الغسيل، قال: والله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نرمي بالحجارة من السماء، أن كان رجلاً ينكح أُمّهات الأولاد والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة.

وقال الذهبي: ولمّا فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل، مع شربه الخمر، وإتيانه المنكرات، اشتدّ عليه الناس وخرج عليه غير واحد، ولم يبارك الله

في عمره...

وبعد اتّفاقهم على فسقه اختلفوا في جواز لعنه بخصوص اسمه، فأجازه قوم منهم ابن الجوزي، ونقله عن أحمد وغيره»[1].

وجاء في (شذرات الذهب) لابن العماد (ت١٠٨٩هـ):

«استشهد فيها في يوم عاشوراء أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب سبط رسول اللهﷺ وريحانته بكربلاء عن ستّ وخمسين سنة...

ولمّا تم قتله حمل رأسه وحرم بيته وزين العابدين معهم إلى دمشق كالسبايا. قاتل الله فاعل ذلك وأخزاه ومن أمر به أو رضيه...

ونقل الاتّفاق على تحسين خروج الحسين على يزيد...

ولعلماء السلف في يزيد وقتلة الحسين خلاف في اللعن والتوقّف...

وعلى الجملة فما نقل عن قتلة الحسين والمتحاملين عليه يدلّ على الزندقة وانحلال الإيمان من قلوبهم وتهاونهم بمنصب النبوّة، وما أعظم ذلك، فسبحان من حفظ الشريعة حينئذ وشيّد أركانها حتّى انقضت

(١) الصواعق المحرقة ص٢٢٠ ـ ٢٢٢ الفصل الثالث في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت كفاطمة وولديها.

دولتهم، وعلى فعل الأمويين وأمرائهم بأهل البيت حمل قوله صلى الله عليه وآله: (هلاك أُمّتي على أيدي أغيلمة من قريش)، قال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان وبنى فلان لفعلت.

ومثل فعل يزيد فعل بشر بن ارطأة العامري أمير معاوية في أهل البيت من القتل والتشريد، حتّى خدّ لهم الأخاديد، وكانت له أخبار شنيعة في عليّ، وقتل ولدى عبيد الله بن عبّاس وهما صغيران على يدي أُمّهما، ففقدت عقلها وهامت على وجهها، فدعا عليه عليّ أن يطيل الله عمره ويذهب عقله، فكان كذلك خرف في آخر عمره، ولم تصحّ له صحبة...

وقال التفازاني في شرح العقائد النسفية: اتّفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين، أو أمر به، أو أجازه، أو رضى به. قال: والحقّ أنّ رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك وإهانته أهلي بيت رسول الله ممّا تواتر معناه وإن كان تفصيله آحاداً. قال: فنحن لا نتوقّف في شأنه، بل في كفره وإيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه. وقال الحافظ ابن عساكر نسب إلى يزيد قصيدة منها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لعبت هاشم بالملك بلا ملك جاء ولا وحى نزل

فإن صحت عنه فهو كافر بلا ريب.

وقال الذهبي فيه: كان ناصبياً، فظاً غليظاً، يتناول المسكر، ويفعل المنكر، افتتح دولته بقتل الحسين، وختمها بوقعة الحرّة، فمقته الناس، ولم يبارك في عمره...

وقال اليافعي: وأمّا حكم من قتل الحسين، أو أمر بقتله ممّن استحلّ ذلك فهو كافر، وإن لم يستحلّ ففاسق فاجر»[1].

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج١ ص٦٦ ـ ٦٩ سنة إحدى وستّين.

ملحق (٣)

فتاوى يوم عاشوراء

قال الحموي (ت٨٤٤هـ) في (عقد الدرر واللآلئ):

«المستحبّ في ذلك اليوم فعل الخيرات: من الصدقة، والصوم، والذكر، وغيرها. ولا ينبغي للمؤمن أن يتشبّه بيزيد الملعون في بعض الأفعال، وبالشيعة والروافض والخوارج أيضاً، يعنى لا يجعل ذلك اليوم يوم عيد، أو يوم مأتم، فمن اكتحل يوم عاشوراء فقد تشبّه بيزيد الملعون وقومه، وإن كان للاكتحال في ذلك اليوم أصل صحيح، فإنّ ترك السُنّة سُنّة إذا كانت شعاراً لأهل البدعة، كالتختم باليمين فإنّه في الأصل سُنّة، لكنّه لمّا كان شعار أهل البدعة والظلمة، صارت السُنّة أن يجعل الخاتم في خنصر اليد اليسرى في زماننا كما في شرح القهستانى، ومثله تقصير الثياب وتطويلها، اللّهمّ إلاّ أن يفعل بعض الأفعال، كالاغتسال، وزيارة الإخوان، وتوسيع النفقة، ونحوها من غير أن يخطر بباله التشبيه وعدمه، كما إذا خرج بطريق الاتّفاق أو بمصلحة داعية إليه من غير أن يخطر بقلبه الموافقة، فإنّه لا بأس به.

ومن قرأ يوم عاشوراء وأوائل المحرّم مقتل الحسين فقد تشبه بالروافض، خصوصاً إذا كان بألفاظ مخلّة بالتعظيم لأجل تحزين السامعين. وفى كراهية القهستانى: لو أراد ذكر مقتل الحسين ينبغى أن يذكر أوّلاً مقتل سائر الصحابة، لئلا يشابه الروافض.

قال حجة الإسلام الغزالي: يحرم على الواعظ وغيره راوية مقتل الحسين وحكايته، وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنّه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم، وهم أعلام الدين، وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة، ولعلّ ذلك لخطأ في الاجتهاد، لا لطلب الرياسة والدنيا، كما لا يخفى.

وقال عزّ الدين بن عبد السلام، في فصل آفات اللسان: الخوض في الباطل هو: الكلام في المعاصي، كحكاية أحوال الوقاع، ومجالس الخمور، وتجبّر الظلمة، وكحكاية مذاهب أهل الأهواء، وكذا حكاية ما جرى بين الصحابة»[1].

(١) انظر: تفسير روح البيان لأبي الفداء ج٤ ص١٤٢ ــ ١٤٣، نقلاً عن عقد الدرر واللآلئ في فضل الشهور والأيام والليالي).

وقال ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ) في (لطائف المعارف):

«وأمّا اتّخاذه مأتماً كما تفعله الرافضة لأجل قتل حسين بن عليّ فيه، فهو من عمل من ضلّ سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنّه يحسن صنعاً، ولم يأمر الله ولا رسوله باتّخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً، فكيف بمن دونهم»[1].

جاء في فتوى عطية صقر (مايو ١٩٩٧م):

«السؤال: هل صحيح أنّ صوم يوم عاشوراء كان مفروضاً قبل رمضان، وما هي حكمة صيامه، وهل صحيح أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أوصى بالتوسعة على العيال فيه؟

الجواب: يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من شهر الله المحرم، أوّل شهور التقويم الهجري دخل التاريخ من أوسع أبوابه منذ بدء الخليقة، كما تحكى الروايات التي لا يصمد أكثرها أمام النقد العلمي عند رجال الحديث.

وإذا كان الخبر الصحيح يشرّع صومه شكراً لله على نجاة موسى، فإنّ

(١) لطائف المعارف ص٥٤.

الذى يهمنا كمسلمين أنّ صوم يوم عاشوراء بقى مندوباً كسائر الأيام التي يندب فيها الصيام، ولم يكن يأبه له أحد من المسلمين بأكثر من أنّ الصيام فيه له فضله الذى ورد فيه قول النبيّ ﷺ، كما رواه مسلم: يكفر السنة الماضية.

وجرى الأمر على ذلك في عهد الخلفاء الراشدين، حتّى كان يوم الجمعة العاشر من المحرّم سنة إحدى وستّين من الهجرة، وهو اليوم الذى استشهد فيه الحسين بن علىّ في كربلاء، فدخل يوم عاشوراء التاريخ مرّة أُخرى من باب واسع، عمّق الشعور بالتشيع لآل البيت.

وعلى الرغم من مرور أربعة عشر قرناً على هذا الحادث، فإن آثاره ما زالت باقية تظهر في الاحتفال بذكراه، فهو في إيران والعراق وغيرهما يوم حزن عميق، لا داعى لوصف مظاهره، وهو في بلاد المغرب وغيرها من البلاد التي تبرّر ما صنعه رجال البيت الأموي للاحتفاظ بالسلطان، يوم فرح وهدايا وتوسعة وترفيه بالحلوى وكلّ ما لذّ وطاب.

وفى ظلّ هذه العواطف، ظهرت بدع، واخترعت أقاويل وحكايات، بل وضعت أحاديث على النبيّ ﷺ تشجّع الأوّلين على المبالغة في الأسى والحزن، وتشجّع الآخرين على المبالغة في الفرح والسرور.

ونكتفى بهذا القدر في بيان استغلال يوم عاشوراء استغلالاً سياسياً،

لنعرف مدى صحّة ما يقال: إنّ التوسعة على العيال في يوم عاشوراء أثر من آثار النزاع بين البيت الأموي والهاشمي.

جاء في كتاب شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلانى ج٨ ص١٢٣ إنّ الحديث الذى يقول: من وسّع على عياله في يوم عاشوراء وسع الله عليه السنة كلّها. رواه الطبراني والبيهقي وأبو الشيخ، وقال البيهقي: إنّ أسانيده كلّها ضعيفة، ولكن إذا ضمّ بعضها إلى بعض أفاد قوّة.

قال العراقي في أماليه: لحديث أبى هريرة طرق صحّح بعضها ابن ناصر الحافظ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات. وقد يقال: إذا كان الصوم شعيرة عاشوراء، وهو يقوم على الزهد والتقشّف فكيف يتّفق ذلك مع التوسعة على العيال والأهل؟ ولئن كانت هناك توسعة فلتكن على الفقراء كالبر في رمضان، ومهما يكن من شيء فإنّ التوسعة مندوبة وأفضل دينار ينفقه الإنسان بعد نفسه هو على أهله، وكلّ ذلك في حدود الوسع.

وجاء في الزرقاني أيضاً: أنّ ما يذكر من فضيلة الاغتسال فيه والخضاب والأدهان والاكتحال، ونحو ذلك فبدعة ابتدعها قتلة

الحسين، كما صرح به غير واحد»[١].

وقال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) في (منهاج السُنّة):

«وصار الشيطان بسبب قتل الحسين يحدث للناس بدعتين:

بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء من اللطم والصراخ والبكاء وإنشاد المراثي.

وبدعة السرور والفرح.

فأحدث أولئك الحزن، وأحدث هؤلاء السرور، فصاروا يستحبّون في يوم عاشوراء الاكتحال، والاغتسال، والتوسعة على العيال، وإحداث أطعمة غير معتادة.

وكلّ بدعة ضلالة، ولم يستحبّ أحدٌ من أئمّة المسلمين الأربعة وغيرهم لا هذا ولا هذا»[٢].

---

(١) فتاوى دار الإفتاء المصرية، دار الإفتاء المصرية، ج٩ ص٢٥٦. انظر مجلة العربي التي تصدر بالكويت ١٩٦٢م، مجلة الإيمان التي تصدر بالمغرب ـ محرم وصفر ١٣٨٤هـ

(٢) منهاج السُنّة النبوية ج٤ ص٥٥٥.

الفهرس

كلمة المركز ٣

تقديم ٥

الحسين عليه السلام بين الماضي والحاضر ٧

ـ في الماضي: ٨

ـ في الحاضر ١٢

النبوءات بالحسين عليه السلام ١٥

شهادة الفقهاء ٢٣

خصوم الحسين عليه السلام ٣٠

المؤرّخون والحسين عليه السلام ٤٢

الطامّة: ٤٥

الوهابيون والحسين عليه السلام ٥١

ـ آل رسول الله صلى الله عليه وآله وأولياؤه: ٥٢

ـ ما يروى في مصرعه: ٥٥

ـ من أمر بقتل الحسين عليه السلام: ٥٨

ـ أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٦٧
ـ من قتل الحسين عليه السلام ؟ ٧٤
استشهاد الحسين عليه السلام ٨١
ابن تيمية والحسين عليه السلام ٨٩
النتائج ١٠٧
جاء في رسالة (أصول السُنّة) لمؤسّس مذهب أهل السُنّة أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ): ١٠٨
وجاء أيضاً في رسالة (أصول السُنّة): ١٠٩
وجاء في رسالة (شرح السُنّة) للبربهاري (ت٣٢٩هـ): ١١٠
وجاء في (العقيدة الطحاوية) لأبي جعفر الطحاوي (ت٣٢١هـ): . ١١٣
وجاء في (العقيدة الواسطية) لابن تيمية (ت٧٢٨هـ): ١١٣
وجاء في (الاعتصام) لإبراهيم الشاطبي (ت٧٩٠هـ): ١١٤
وجاء في (شرح الطحاوية) للحوالي: ١١٥
وجاء في (أحاديث في ذمّ الكلام وأهله) للمقرئ (ت٤٥٤هـ): ١١٥
جاء في (البداية والنهاية) لابن كثير (ت٧٧٤هـ): ١١٦
جاء في (عمدة القاري شرح البخاري) العيني (ت٨٥٥هـ): ١١٩

وجاء في (فتح الباري) لابن حجر (ت٨٥٢هـ): ١٢١
قال ابن حجر في (فتح الباري):..... ١٢٣
وقال المناوي في (فيض القدير):..... ١٢٣
وقال القسطلاني في (إرشاد الساري): ١٢٤
وقال ابن كثير في (البداية والنهاية): ١٢٤
(ملاحق الكتاب) ١٢٩
ملحق (١)..... ١٢٩
قراءة في كتاب (العواصم من القواصم) لابن العربي (ت٥٤٣هـ) ١٢٩
ـ التعليق:..... ١٣٨
ملحق (٢)..... ١٨٠
نماذج من المصادر التي ذكرت سبي أبناء الرسولﷺ ونكت يزيد رأس الحسينعليه السلام..... ١٨٠
وجاء في (المنتظم في تاريخ الملوك) لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ):.... ١٨١
وجاء في (مرآة الجنان) لليافعي (ت٧٦٨هـ):..... ١٨٣
وجاء في (شذرات الذهب) لابن العماد (ت١٠٨٩هـ):..... ١٨٩
ملحق (٣)..... ١٩٢

فتاوى يوم عاشوراء ١٩٢
قال الحموي (ت٨٤٤هـ) في (عقد الدرر واللآلئ): ١٩٢
وقال ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ) في (لطائف المعارف): ١٩٤
جاء في فتوى عطية صقر (مايو ١٩٩٧م): ١٩٤
وقال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) في (منهاج السُنّة): ١٩٧
الفهرس ١٩٩

صدر للمؤلف

. السيف والطاغوت: مصر بين الإخوان والسلفية

. تأريخ الشيعة في مصر

. أكاذيب الوهابية: اغتصاب أهل السُنّة

. الإمام علي سيف الله المسلول

. فراعنة وعبيد: مصر الوجه الآخر

. دفاع عن الرسول: ضدّ الفقهاء والمحدّثين

. الكلمة والسيف: شهداء الرأي في تأريخ المسلمين

. الشيطان يسكن مصر: سيرة ذاتية

. الحقّ والحقيقة: بين السُنّة والشيعة

. فقه الاعتدال: دروس في الدين والتدين

. زواج المتعة حلال: في الكتاب والسُنّة

. فقهاء النفط: الدين والدينار

. الخلفاء والإسلام: سقوط الإسلام الروائي

. وصيّة الرسول لأهل البيت

. تغيير الخطاب الإسلامي: الدين أم المذهب

. التسنّن والتشيع: التقارب والتباعد

. السلفية بدعة: ضدّ الإسلام والمسلمين

. ثقافة الإرهاب: بين الروايات والفقهاء

. المناظرات: بين فقهاء السُنّة وفقهاء الشيعة

. السيف والسياسة: الصراع بين الإسلام النبوي والإسلام القبلي